

نحو خطوة لإنجاز القاموس العربي التارخي في ضوء التجربة الفرنسية

أ.د. عبد العلي الودغيري

جامعة محمد الخامس - الرباط

- ١ -

في البداية لا بد من تأكيد معلومة واضحة، وهي أنه لا توجد وصفة جاهزة أو طريقة استعمال واحدة صالحة في كل حال لإنجاز أي قاموس تارينجي لأية لغة من اللغات. والسبب بسيطٌ واضحٌ أيضاً، وهو أنه لا يوجد هنالك نوع واحد من القواميس التارينجية أو صيغة موحدة لها، وإنما هي أنواعٌ مختلفٌ بعضها عن بعض في أمور كثيرة : في حجم مدونتها وكيفية تكوينها ومصادرها وعدد مداخلها، وفي نوعية الألفاظ والمدخل المؤرخ لها، وفي الفترة الزمنية المراد التأريخ لألفاظها، وفي طريقة التأريخ لهذه الألفاظ، وتعريفها وترتيبها، ونوع المعلومات المطلوبة وقدرها وطريقة صياغتها وتنسيقها. وليس هذا فقط، بل هناك تفاصيل أخرى لا بد من معرفتها القبلية كمعرفة الهدف من تأليف هذا القاموس أو ذلك، ومعرفة جمهور القراء، الذين يوجهه إليهم، ومستواهم المعرفي والعلمي، وتحديد مقدار حاجتهم ومدى استفادتهم من هذا النوع أو ذاك، إلى غير ذلك من الأمور التي تتحكم في تحديد التصورات الخاصة بكل قاموس.

إذن، تحديد الخطوة المناسبة لإنجاز أي قاموس تارينجي لأية لغة من اللغات، معناه: تحديد نوع هذا القاموس الذي يراد صنعه بكل ما يطلب فيه من مواصفات وما يرميه من أهداف. وإذا كان «وضع قاموس يؤرخ لمعجم اللغة

العربية»، هو الهدف العام الذي لا نختلف عليه، نحن الذين تجمعنا الرغبة في أن يكون للعربية قاموسٌ على هذا النحو أو ذاك مما يوجد في عدد من اللغات الأخرى، فإن ذلك وحده لا يكفي لرسم ملامح هذا القاموس الذي نريده ولا لعرفة شكله وتحديد موصفاته ونوعيّته وحجمه ومضمونه ومادته المعجمية وكيفية بنائه وصياغته. إذ نحن أمام موضوعٍ واسعٍ وعنوانٍ فضفاضٍ يحتاج إلى زيادة تدقيقٍ وتوضيحٍ، ولا سيما أن الأمر يتعلق بمعجمٍ لغة هي وعاءً حضارةٍ من أكبر حضارات البشرية تجربةً وغنّاً وتراثاً وعمقاً تاريخياً وامتداداً جغرافياً وغزاراً تراثاً وعلم وثقافةً. وهذا وحده يُشكّل عبئاً كبيراً لا يقارنُ بالأعباء التي يتحملها من ينهض بإنجاز أي قاموسٍ آخر من بقية القواميس المؤرخة للغات ذات الأعماق القصيرة والتجارب المحدودة.

لكن هذا الذي قلناه عن اختلاف القواميس والخطط، لا يعني أن كلَّ القواميس التاريخية الموجودة أو الممكِنة، ليس بينها إلا صلةُ الاختلاف. بل الحقيقةُ هي أن كلَّ القواميس التاريخية، لكي تدخل تحت هذا الوصف، لا بدَّ أن تكون لها أيضاً نقطَ التقائِ في أرضيةٍ مُشتركة، أي: قدرُ من العناصر التي تجمعها تحت عنوانٍ واحدٍ. وبعد هذا الجُذُع المشترَك تظلُّ هنالك مساحةً واسعةً للتباين والاختلاف اللذين من أجلهما تتفرَّغ الأنواعُ.

وما نعنيه بالجُذُع المشترَك، هو كُلُّ ما يدخل تحت تعريف «القاموس التاريخيّ للغة» من عناصر، بعضها يُعتبرُ جزءاً من المكوّنات الأساسية لمفهوم مصطلح «قاموس» (من مدونة وترتيب وتعريف)، وبعضها يُعتبرُ جزءاً من مكوّنات مصطلح «تارِيخ». ورغم أن مفهوم «التارِيخ» نفسه ليس من المفاهيم المحدّدة بدقَّةٍ بين أصحاب الاختصاص، كما سنرى، إلا أن كُلَّ عملٍ حقَّقَ الحدَّ الأدنى من عناصر ذلك المفهوم، اعتُبرَ داخلاً تحت عنوان: القاموس التاريخيّ.

أما المُختلفُ فيه، مما تجاوزَ سقفَ هذا القسمِ المشترَك، فهو عبارةٌ عن تجاربٍ واجتهاداتٍ تختلفُ - في درجاتٍ نُسِّجْها واكتَّاها - باختلاف نظرَ

أصحابها من مؤرّخي معاجم اللغات. ولِقَفْ لحظةً عند التجربة الفرنسيّة على سبيل المثال، لنلاحظ أن النماذج التي يمكن إدراجها تحت عنوان «القاموس التارينجي» كثيرةٌ لكنها غير متساوية ولا مُتكافئة في قيمتها ودرجة نضجها وتطورها. ويمكننا أن نعتبر أن الحالة الأولى في سلسلة القواميس التارينجية الفرنسيّة هي تلك المتمثّلة في كتاب جيل ميناج *Gilles Ménage* الذي طبع سنة 1650م بعنوان: «أصول اللغة الفرنسيّة» (*Les origines de la langue française*)، ثم طُبع سنة 1694م (عامين بعد وفاة صاحبه) ضمن مجموع يحمل عنواناً: «القاموس الإيتيمولوجي أو أصول اللغة الفرنسيّة» (*Dictionnaire étymologique ou Origines de la langue française*). وفيه حاول المؤلف أن يبحث عن أصول الكلمات الفرنسيّة بإرجاعها إلى اللاتينية الشعبية واليونانية و مختلف اللغات الرومانسيّة واللهجات الإقليميّة. فحين ذكر كلمة *abricots* على سبيل المثال - وقد أوردها بهذه الصيغة على طريقة الجمع - بحث عن أصلها في اليونانية ومنها أخذتها العربية التي أعارتها بدورها للإسبانية، ومن هذه الأخيرة أخذتها الفرنسيّة، وعن الفرنسيّة استعارتها الإنجليزيّة. وتتّبع صيغها المختلفة في كل هذه اللغات. ومن المعلوم أن البحث في الأصول الاستقافية والتأثيلية (الإيتيمولوجيا) للألفاظ (ويدخل تحته مقارنة هذه الألفاظ بالفاظ لغاتٍ أخرى ذات علاقٍ)، هو عنصرٌ أساسيٌّ من العناصر المكوّنة لمفهوم «التاريخ المعجمي». ولقد اعترفَ المعجميون المتأخرون بقيمة العمل الذي قدّمه ميناج في هذا الجانب، ونوهوا به كثيراً. وفي مقدمة هؤلاء اللغويّين الشهير أوسكار بلوخ الذي شهد له بالفضل، فقال في جملة ما قاله عنه: «لقد قدّم حول التاريخ الخاصّ لعدد من الكلمات معلوماتٍ ثمينةً ربياً تمَّ إهمالُ الكثير منها بحكم القصور في معلوماتنا. ولذلك قمنا نحن، في مواضع كثيرة من كتابنا هذا، بالتنويه مراراً بكل ما له فضلٌ فيه»¹.

1 - من مقدمة بلوخ (*Dictionnaire étymologique de la langue française*) لقاموسه: Oscar Bloch

وبعد هذا الكتاب كانت هنالك قواميس فرنسية تأثيلية كثيرة²، لكن يهمنا أن نقف عند محاولة متميزة في القرن الثامن عشر الميلادي جاءت على يد أحد اللغويين المشهورين في ذلك الوقت وهو : ج. ب. لاكورن دي سانت بالاي (J.B. La Curne de Sainte Palaye) صاحب القاموس المعروف باسم: *(القاموس التاريخي للفرنسية القديمة : Dictionnaire historique de l'ancien français)* الذي تأخر طبعه إلى سنة 1876م، أي مدةً تقارب من قرنٍ بعد وفاة صاحبه. ومع أن هذا الكتاب الذي يعتبر أول قاموس فرنسي تظهر في عنوانه عبارة «قاموس تاريخي»، لم يؤرخ للألفاظ بذكر سنوات ظهورها أو مراحل تطورها، إلا أنه فعلَ ما يُشبه ذلك بحِرصه على ذكر أقدم المصادر والمؤلفات التي أوردَت اللفظ، والإتيان بالشواهد النصية المنسوبة لأصحابها التي تُثبتُ الفترة التقريرية لاستعمال هذا اللفظ أو ذاك في اللغة الفرنسية. هذا إلى جانب اهتمامه بذكر الصيغ المختلفة التي وردَت لكل لفظٍ من الألفاظ وأصولها الاشتراكية. وهذه العناصر كلُّها هي التي أعطت قيمة كبيرة للكتاب، فأصبح مصدرًا أساسياً من المصادر التي اعتمدَها وعولَ عليها من جاءَ بعده من المعجميين الفرنسيين.

أما القرن التاسع عشر الميلادي، الذي كان بحق «قرن القواميس» كما قال بيير لاروش³. فقد ازدهرت فيه الصناعة القاموسية بصفة عامةً ازدهاراً لا مثيل له⁴، ولا سيما في فرنسا التي كانت تعيش أوج ثورتها في كل المجالات، ومنها

2 - ومن: أقدمها كتابٌ ظهرَ في حياة جيل ميناج (أي سنة 1661م) عنوان: *L'Etymologie de plusieurs mots Français* لصاحب الأب فيليب لاب (Philippe Labbe) (ت 1666 أو 1667م).

3 - ذكر ذلك في مقدمة قاموسه الموسوعي الصادر ما بين 1866 و1876م عنوان : *Dictionnaire des dictionnaires de la langue universel du 19ème siècle* في كتابه : Jean Pruvost وراجع .

3 ص française

4 - ذكر اللغوي الفرنسي، الشهير برنار كيمادا في أطروحته التي نشرَها سنة 1968م عنوان : *Dictionnaire du Français moderne* (1539 – 1863)، أنه خلال المدة الفاصلة ما بين ظهور قاموس *Dictionnaire français- latin* الصادر سنة 1539 من تأليف Robert Estienne وصدور الجزء الأول من قاموس إميل ليطري *Dictionnaire de la langue française* سنة 1863م، ظهر بفرنسا حوالي ثلاثة آلاف عنوان أصلي من عناوين القواميس المختلفة . راجع: كتاب جون بروفسْت (ص: 4) المذكور في الامامش السابق.

المجال اللغوي⁵ والمعجمي⁶، وفيه أصبح «موضوع القاموس التاريخي محلّ اهتمام كبير لدى الرأي العام»⁷، ليس في فرنسا وحدها، ولكن في بلدان أوروبية أخرى أيضاً، مثل ألمانيا وإنجلترا. وأما في فرنسا على وجه الخصوص، فقد ظهرت محاولات كثيرة يمكن - بشكل أو باخر - اعتبارها داخلة في المفهوم الواسع للقاموس التاريخي. وسنذكر منها أربعة كتب لها أهمية خاصة، وبعض من هذه الأربعة كان يُمثل بحق تطوراً ناجحاً في موضوعه:

أما الكتاب الأول فهو القاموس الذي أصدره سنة 1839م كل من فرانسوا نويل ول.ج. كاربونتي بعنوان: «القاموس الإتيومولوجي التأثيلي والتاريخي ... Dictionnaire étymologique, critique, historique...» وهذا الكتاب الذي يعتبر ثاني قاموس لغوي فرنسي يحمل في عنوانه عبارة «قاموس تاريخي»، حاول أن يجمع بين التأثيل المعجمي والنقد والتاريخ والأدب والنواذر والحكايات. وهو إن لم يصل إلى مرحلة وضع تواريخ محددة لظهور الكلمات أو تطويرها، إلا أنه تأثر إلى حد كبير بطريقة جيل ميناج وسانت بالاي مع نوع من الإيجاز، إذ اكتفى بذكر أصول الكلمات والشواهد النصية المختارة من كبار الكتاب لاستعمالها، معتبراً أن ذلك في حد ذاته نوعاً من الاهتمام «بجانبها التاريخي ومرحلة دخولها إلى اللغة الفرنسية، وظروف حياتها قبل أن تبنيها هذه اللغة بصفة تامة»⁸.

وأما الكتاب الثاني، فكان أكثر عمقاً وتحصصاً من السابق، وهو القاموس الذي أصدرته الأكاديمية الفرنسية⁹ بعنوان: «القاموس التاريخي للغة الفرنسية»:

5 - من فضائل الثورة الفرنسية (أواخر القرن الثامن عشر) على اللغة الفرنسية أنها صَمَّمت أكثر من أي وقت آخر على توحيدها وفرض استعمالها في كل أجهزة الدولة وخاصة في التعليم ومحاربة كل اللهجات واللغات الإقليمية، وهذا ما أدى إلى تشجيع العلماء والمؤسسات العلمية على خدمة اللغة الفرنسية الفصيحة (لغة الأدب والثقافة والإدارة والتعليم) حتى يكتمل استقلالها نهائياً عن اللغة اللاتينية، ويتم أيضاً تعميم أفكار الثورة ومبادئها.

6 - مقدمة قاموس ليطري الآتي الذكر.

7 - من مقدمة الكتاب.

». وهو ثالثُ عملٍ فرنسيٍّ يحملُ في عنوانه عبارةً «قاموس تارينجيّ». ولكنَّه للاسف لم يصدر منه سوى أربعة أجزاءٍ (ما بين سنتي 1865 و1894م) اقتصرَت كلُّها على معالجة الحرف الأول من الأبجدية الفرنسية⁸. وبالإضافة إلى ذلك، فإنَّ هذا القاموس لم يصل إلى مرحلة النصِّ على تواريخ محددة أو تقريرية لظهور الألفاظ ومعانيها المختلفة، ولكنه سار على منوال قاموس سانت بالاي، في العناية بذكر المصادر المعجمية القديمة التي وردَت فيها من قبلُ، والشواهد والنصوص التي تُورّخ للمرحلة التقريرية التي استعملت فيها الكلماتُ، مع اهتمامٍ ملحوظٍ بالصيغة القديمة للكلمة. ففي معالجته لكلمة *abaisser* (abaïsser) – مثلاً – يذكُر ثمانِي صيغة قديمة لهذا الفعل أوردَها سانت بالاي (ق1814م)، وصيغة أخرى ذكرَها قاموس روبير إتيان سنة 1539م، وقاموس نيكو سنة 1606م، وصيغة أخرى (abbaïsser) أقرَّها قاموس الأكاديمية سنة 1694م.

والكتابُ الثالث هو القاموس الشهير الذي أصدرَه إميل ليطري ما بين 1863 و1872م بعد مدةٍ اشتغالٍ دامت حوالي ثلاثين عاماً. وكان المؤلِّفُ في البداية قد اختار له عنوانَ: «القاموس الإتيومولوجي الجديد للغة الفرنسية»: *Nouveau dictionnaire étymologique de la langue française*، إلا أنَّ الناشر السيد هاشيط اقترحَ عنواناً آخرَ وهو⁹: «القاموس التارينجي والنحوِي للغة الفرنسية»: *Dictionnaire historique et grammatical de la langue française*: فكان بذلك رابعَ قاموس فرنسيٍّ يحملُ في عنوانه عبارةً (قاموس تارينجي). ولكنَّ الذي حدَّثَ فيما بعدُ، هو أنَّ الكتابَ طُبعَ بعنوانِ آخرَ وهو: «قاموس اللغة الفرنسية»: *Dictionnaire de la langue française*. وأهميةُ كتاب ليطري بين سلسلة القواميس الفرنسية والأوروبية عموماً، كبيرةٌ ومعروفة، ليس فقط بسبب ما تضمَّنه من مادةٍ معجميةٍ موثوقةٍ بها عند العلماء، ولكنَّ أيضاً بسبب

8 - توقف المنشورُ من الكتاب عند كلمة (azyme).

9 - انظر: محاورة ليطري: ?Comment j'ai fais mon dictionnaire، مرجع مذكور.

الخطوات الجديدة التي أضافها إلى الصناعة القاموسيّة، ومنها حُسْنُ تَسْيِيقِه وترتيبه للمعلومات المُضَمَّنة في تعريفات المداخل المعجمية، وكُونُه أول قاموس فرنسيٍّ يُعْنِي عنايةً متميزةً بالجانب التارِيخي لظهور الألفاظ وتطور دلالتها واستعمالها، وتخصيصه فقرةً لذلك مُنفَصلَةً عن تلك المتعلقة بالجانب التأثيري والاشتقاقيّ، فضلاً عن اهتمامه بسيارات الاستعمال المختلفة والشواهد النصيّة. هذا فضلاً عن المقدمة الضافية المعتمدة التي قدَّمَ بها لهذا القاموس، وشرح فيها شرحاً جيداً الجوانب المفيدة لوجود العنصر التارِيخي في القاموس اللغويّ، ومنها أنه يُوظَّفُ لفهم طريقة الاستعمال¹⁰. ولقد تحدث المؤلِّفُ عن تجربته في وضع هذا القاموس¹¹، وما وردَ في ذلك أن أحد المهتمّين من الإنجليز اتصَّلَ به وطلبَ منه - وهو في المراحل الأولى من عملية التأليف - أن يُبيّن له الحُكْمَة التي اتَّبعَها في إنجاز قاموسه من أجل الاستفادة منها في وضع قاموس تارِيخي للغة الإنجليزية. وليس مُستبعداً أن يكون هذا الشخص الذي رغَّبَ في الاستفادة من تجربة ليطري واحداً من الذين اشتغلوا بتأليف قاموس أكسفورد الشهير¹².

وتقوم خُطَّةُ قاموس ليطري على العناصر الخمسة التي رَتَّبَها على النحو الآتي:

الأول: ذكر الكلمات / المداخل مُرتَبَةً ألفبائياً، وقد استقاها أساساً من مدوّنة قاموس الأكاديمية الفرنسيّة الصادر عام 1694م، مع إضافة ما هو

10 - يقول في مقدمة الكتاب : «قد يعتقد بعض الناس، أن القاموس الذي يتدخل فيه التاريخ هو عمل موَجَّهٌ للفئة المتبحّرة في العلم. وهذا غيرُ صحيح، فالتبّحُرُ العلمي l'érudition ليس موضوعاً أو هدفاً في ذاته، ولكنَّه أداةً. وما يَجْنِيهُ من الجانب التارِيخي هو أننا نوظفه من أجل استكمال طريقة الاستعمال التي عادةً ما تكون فكرةً محدودة جداً..... وهكذا فإن القاموس التارِيخي هو المِشَاعُلُ الذي يُضْعِيُ الاستعمال، ولا نلجأ إلى التبّحُرُ (أو التدقّيق العلمي) إلا من أجل الوصول إلى خدمة اللغة».

11 - محاضرة ليطري بعنوان : Comment j'ai fais mon dictionnaire ?

12 - بدأ العملُ في جمع مادة قاموس أكسفورد منذ حوالي 1857م، ولكن نشره لم يبدأ إلا سنة 1878م، وقد أشرف جيمس موري James Murray (1837 - 1915) على تحرير القسم الأول من الكتاب، ولم يكتمل صدوره إلا سنة 1928م.

مُستعملٌ وشائعٌ من ألفاظ العلوم والفنون والصناعات الموجودة في الحياة العملية.

الثاني: النَّصُّ على طريقة نُطقها الصحيح¹³، وذكر مُقولتها النحوية (اسم - فعل - أداة - صفة ... الخ)، وجنسها (مذكر، مؤنث) وعددها (مفرد، جمع ..).

الثالث: ذكر المعاني المختلفة للكلمة مُرْقَمَةً ومرتبة ترتيباً خاصاً بتقديم المعاني الأصلية على الفرعية، والحقيقة على المجازية، وال العامة على الخاصة والاصطلاحية. مع ذكر الأمثلة والشواهد على طريقة تركيبها وكيفية استعمالها مأخوذهً من كتابات المؤلفين الكلاسيكيين (من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر).

الرابع : ذكر توارييخ ظهور الكلمات. وهي توارييخ تقريبية يكتفي فيها بالإشارة إلى القرن الذي ظهرت فيه وليس إلى السنة كما سنجد في القواميس التاريخية اللاحقة. فكلمة (abricot) مثلاً يؤرخ ليطري لظهورها في اللغة الفرنسية بالقرن السادس عشر الميلادي.

الخامس: العنصر الاستقاقي التأثيلي، بذكر أصول الكلمة ومصدرها (إغريقي - لا تيني - عربي ... الخ). فكلمة (abricot) مثلاً، يذكر أنها دخلت إلى الفرنسية عن طريق الإسبانية (albaricoque) التي أخذتها بدورها عن العربية (البرقوق)، والعربية أخذتها عن اليونانية، وأن الكلمة العربية استعارتها أيضاً بقية اللغات الرومانية (كالإيطالية: albercoca / albircoca: - والبرتغالية: (albricoque

وهذه العناصر الخمسة المُعتمدة في قاموس ليطري، هي نفسها التي أصبحت منذ ذلك التاريخ مكوناتٍ أساسيةً للتعريف في القاموسية الحديثة والمعاصرة.

13 - فكلمة (abricot) مثلاً تُنطق: ab - ri - ko بِإهمال حرف (T)، وفي كلمة (cafard) ينبيء إلى أن حرف (d) لا يُنطق.

ومن الصفات الحميدة للسيد إميل ليطري اعترافه بفضل السابقين عليه في إنجاج فكرة تأليف قاموس تارنخي للغة. يقول في مقدمة كتابه (ط. 1872م) : «لم أكن أنا أول من فكر في إدخال التاريخ إلى قاموس اللغة الفرنسية». فقد سبق لفولطير أن اقترح عملاً من هذا القبيل، ناصحاً باستقاء الاستشهادات من نصوص الكتاب الكبير، عوض الإثبات بها بطريقة اعتباطية. والأهم من ذلك أن السيد (جينين)¹⁴ - وهو الرجل المغرم باللغة القديمة - كان يوصي بالعمل من أجل السير في اتجاه الوصول إلى هذه اللغة القديمة بكل إرادة وتصميم، وتحدي كل قوة تقف في سبيل ذلك. وقد تبنت فكري كل من فولطير وجينين، وعملت على وضع خطة غير مسبوقة خاصة بي. فكنت أول من عمل على إخضاع القاموس للتاريخ من كل ناحية. وعزّمت على تنفيذ العمل معتمدًا على ما لدى من قدرة وتوّدة، وما قد يكون لي من حظ سعيد...». ثم إنه بالإضافة إلى استفادته من نصائح فولطير وجينين، أشار إلى اطلاعه على تجربتين آخرتين مُتزاامتين مع فترة عمله في قاموسه، هما:

(1) **الملازم الأول من «القاموس التارنخي للأكاديمية الفرنسية»**، وهي - إذ ذاك - عبارة عن فصلٍ تشتمل على الكلمة الأولى من حرف (A) ظهرت قبل اكمال الجزء الأول المطبوع سنة 1865م.

(2) **الأجزاء الأولى من القاموس التارنخي الألماني الذي كان يشتغل بتأليفه الأشخاص غريم (جاكيوب وويلهيلم) منذ سنة 1838م¹⁵.**

Des variations de langage français - 14
François Génin - 1803 - 1856 مؤلف كتاب بعنوان :
صدر سنة 1843 م، depuis le 12ème siècle

15 - عنوان هذا الكتاب هو: **القاموس الألماني (Deutsches Wörterbuch)**، وهو قاموس تارنخي للغة الألمانية، يرجع كل كلمة إلى أصلها الإتيغولوجي، ويتبع تطورها واستعمالاتها ودلائلها. ورغم أن العمل في الكتاب بدأ منذ سنة 1838م، فإن الجزء الأول منه لم يصدر إلا سنة 1854م. وخلال حياة المؤلفين لم يصدر من هذا القاموس إلا بضعة أجزاء. وهكذا عملت أجيال بعدهما على إكمال عملهما ولم ينته إلا سنة 1961م بصدور الجزء 32. وفي سنة 1957 بدأ العمل في مراجعة جديدة لهذا القاموس، فلم يكمل إصداره في طبعته الجديدة إلا سنة =

والكتابُ الرابع من قواميس القرن التاسع عشر التي اعتَبرناها ذاتَ أهمية خاصة في موضوعنا، هو الذي أَلفه كُلُّ من أدولف هاتسفيلد وأرسين دارستيتر، وطبع ما بين سنتي 1890 و1900م بعنوان :«القاموس العام للغة الفرنسية» Dictionnaire général de la langue française. ورغمَ أن هذا الكتاب مُصنَّفُ في العادة ضمن القواميس اللغوية العامة، ولا يَحْمِلُ في عنوانه كلمة «تاريخ» أو «تاريخي»، مثلُه في ذلك مثل «قاموس أكسفورد للإنجليزية»، و«القاموس الألماني»، و«ذخيرة اللغة الفرنسية»، إلا أنه مع ذلك يُعتبرُ خطوةً جديدةً في مجال التاريخ المعجمي. فلأول مرَّةٍ في تاريخ القواميس الفرنسية، نجد كتاباً يُعْنِي بوضع تواريَخ مُحدَّدةٍ بالسنوات للمداخل التي يُورِدُها. فكلمة (abricot) – مثلاً – التي اكتفى ليطري سابقاً في التاريخ لها بالقول إنها من ألفاظ القرن السادس عشر، نجدُها في قاموس هاتسفيلد وصاحبِه يُورَّخُ لها بسنة 1547م، ويُورَّخُ لبعض مُشتقاتها على النحو الآتي: abricotin – abricoté (1690) – abricotier (1751) – abricotier (16s.). ويردُّ أصلَها إلى البرتغالية والإسبانية اللَّتين أخذَتها من العربية، والعربية واللاتينية معاً أخذَتها من اليونانية. وإذا كان ليطري يبدأ بشرح معاني الكلمة ويُتَبعُ بذكر تاريخها ويَتَهيَ بالناحية التَّأثِيلية، فإنَّ هذا القاموس يَعْكِسُ ترتيبَ هذه الأمور تماماً، فيبدأ بتأصيل الكلمة واشتقاقها، وبعدَها يذكر تاريخ ظهورها، ويَتَهيَ بذكر معانيها.

وهكذا، لن يَحِلَّ مطلعُ القرن العشرين، إلا وقد أصبحَ للفرنسيين تجربةً لا يَأسُ بها في التاريخ لمعجمٍ لغِّيَّهم استغرَقت من الوقت حوالي ثلاثة قرون، إذا اعتَبرنا أنَّ كتابَ جيل ميناج هو الخطوة الأولى في هذا الدَّرُب الطويل. وقد استفادَت الصناعةُ الْقَامُوسِيَّةُ الأُورُوبِيَّةُ بصفةٍ عامة، والفرنسيةُ خاصَّةً، من

= = = 1965. ثم صدرت طبعة رقمية على القرص CD-Rom سنة 2004م. أما الأخوان غريم (Les frères Grimm) فقد توفي الأول منها وهو (Wilhelm) سنة 1859م، والثاني وهو (Jacob) سنة 1863م.

نتائج البحوث والأعمال الكثيرة التي أُنجزَت في الغرب خلال القرون الثلاثة السابقة (من السابع عشر إلى التاسع عشر) في علم اللغة التاريخي والمُقارن، وخاصةً في مجال الإيتيمولوجيَا وتأثيل الألفاظ وتأليف القواميس الثنائيَّة والمُتعددة اللغات. وسيكون الكتاب الصغير الذي نَشَرَه الفرنسيُّ أوسكار بلونغ وراجحه السويسري والتر فون وُرتبرُغ سنة 1932م بعنوان: (القاموس الإيتيمولوجي للغة الفرنسية: Dictionnaire étymologique de la langue française) بدايةً عهِدَتْهُ جديداً في صناعة القواميس التاريخيَّة الفرنسية التي سوف تأخذ طُرقاً ومسالكَ عديدةً ومتنوَّعة، إلى أن تكتمل صُورُها وتقتفيَّها بصدور كلٍّ من "القاموس التاريخي للغة الفرنسية" (DHLF) (1992م) المعروفة اختصاراً باسم: "روبير التاريخي"، وقاموس: "ذخيرة اللغة الفرنسية" (TLF) (1994م). هذان الكتابان يمكن اعتبارهما قمة التجارب الفرنسية في هذا المجال، مقارنةً مع عددٍ من عناوين المحاولات الأخرى التي سيمُرُّ بنا ذكرُها في الصفحات الآتية. إذ فيها ستُظْهِرَ كل العناصر المكوِّنة لمفهوم «التاريخ» لمعاجم اللغات كما أصبح مُتعارفاً عليها في هذه الصناعة الحديثة الفتية.

- 2 -

الآن، لو أردنا، من خلال هذه التجربة الفرنسية الطويلة والغنية وغيرها من التجارب الأخرى القديمة والحديثة، أن نبحث في أهم النُقط التي تكون سبباً في تنوع القواميس التاريخيَّة فيؤدي ذلك إلى اختلاف خطط إنجازها، لوجَدناها في الجملة لا تخرج عن المحاور الآتية:

- 1 - تحديد أهداف القاموس التاريخيّ.
- 2 - تحديد مفهوم «القاموس التاريخي» أو «التاريخ» المعجم اللغويّ.
- 3 - المادة المعجميَّة (نوعُها - كميَّتها - مصدرُها - عصرُها - مستواها الاستعمالي... الخ).

4- المعلومات التي ينبغي أن تُقدم عن هذه المادة المعجمية.

5- صياغة المادة المعجمية والمعلومات عنها، وطريقة تعريفها وترتيبها.

وهذه النقط الخمس هي التي تُتيج مجموعه من الأسئلة والإشكالات التي لا بدّ من حسمها والقطع فيها برأيٍ موحد بين أعضاء الفريق الذي يوكّل إليه أمرُ صناعة القاموس التارخي للغة العربية.

1- ففي مقدمة الأسئلة التي تقتضي ضرورة تحديد الإجابة عنها، لأجل تحديد التوجّهات العامة لخطة الإنجاز، هناك السؤال عن أهداف هذا القاموس والفتنة التي يتواجه إليها.

وتحديد الهدف معناه: تحديد الغاية من تأليف القاموس، والفائدة المرجوة منه. وإذا نحن قدّمنا جواباً سريعاً فقلنا الآن: إن الهدف العام معروفٌ لدينا - كما ذكرتُ سابقاً - وهو وضع كتابٍ يورّخ لأنفاظ اللغة العربية، وأن الفائدة المرجوة هي باختصار تقديم خدمةٍ خاصة لا توفرُها أنواع القواميس اللغوية الأخرى، فإن هذا الجواب العام وحده لا يكفي لتحديد كل الملامح والمواصفات الدقيقة للقاموس الذي نريدُه تحديداً يميّزه عن سواه من أنواع القواميس التارخية وهي كثيرةٌ كما رأينا. وإنّ، لا بدّ من تعميق السؤال: سؤال الهدف، بالإضافة سماتٍ أخرى تزيد في توضيح الصورة والكشف عما هو أكثر خصوصيةً في شكل هذا القاموس المطلوب. ولا شكَّ في أن كل واحدٍ من الأسئلة الكبرى التي سيأتي ذكرُها تباعاً، وما يتفرّع عنها من سؤالاتٍ أخرى، سيفرّبنا بطريقٍ مُباشرٍ أو غير مُباشرٍ، وخطوة خطوة نحو أخصّ خصائص الغاية التي نسعى إليها وبهدف تحقيقها.

ويرتبطُ بتحديد الهدف والزيادة في توضيح الطريق إليه، تحديد الفتنة الموجّه إليها هذا القاموس. فهل نريدُ قاموساً موجّهاً لطبةٍ ضيّقة من القراء

تنحصر في خاصية الباحثين والعلماء المُتَبَحِّرين الذين لا تُقْنِعُهم الكلماتُ العامَّةُ والأحكامُ المرسَلةُ، وإنما يجدون متعتها في الغوص وراء أدق التفاصيل في حياة الألفاظ اللغة العربية واستعمالها وما يدخل عليها من تطورٍ وتحوّلٍ في النواحي كلّها الصوتية والصرفية والتركيبيّة والدلاليّة، ويسعون إلى التعمق في كُلّ شيءٍ مما يتعلّق بذلك، ولا يدرُّون شادَّةً ولا فاذَّاً إلا أشبعُوها فحصاً وبحثاً، وقلَّبُوها ظهراً وبطناً، ولا يطمئنُون لقولٍ أو خبرٍ، أو تحليلٍ أو نظرٍ، إلا ما كان مدعماً بحجَّةٍ ومُرْفَقاً بشهادةٍ، ومؤثِّقاً بدليلٍ وليس أيّ دليلٍ؛ أمّا نريده موجهاً للفتنة الواسعة من المُتَقْفِين الذين لا يبحثون عن أدق التفاصيل ولا يعنون بالجزئيات، ولا يلحوذون في طلب الشاهد والدليل، ولا وقت عندهم لكثرة المعلومات والتَّدقيق فيها، وإنما يكفيهم خلاصَةُ البحث وعصارةُ التائج، وصحةُ المعلومات، ولا سيما إذا صيغت في أوجز عبارَة وأبسط تَركيب؟

وتحديدُ فِتْهَةِ القراءِ تترَّتبُ عنه بالضرورة أشياءً كثيرةً، كتحديد حجم الكتاب، والمادة اللغوية، ونوعية المعلومات وعنابرها وكَمِيَّتها، وصياغة التعريفات، واللغة الواصِفة، والمُصطلحات المستخدمة... وما إلى ذلك من الأمور الكثيرة التي سنراها في الصفحات الآتية.

2 - وبعد تحديد الهدف، لا بدَّ أن يأني السؤال عن تحديد مفهوم «التاريخ»، أي التاريخ لأنفاظ اللغة. ما المقصود به؟ وكيف يكون؟. وبالجواب عنه يتحدَّد جُزءٌ مهمٌّ من أهداف القاموس المراد إنجازه. ذلك أننا حين نقوم بجولة بين عدد من القواميس الموصوفة بـ«التارِيخية» في عدد من اللغات الأجنبية، لن نجد عندها مفهوماً مُوحَداً ومحَدَّداً لكلمة «تارِيخ».

فهل معنى «التاريخ» هو مجرَّد رصد الألفاظ المستعملة واستخراجها من النصوص الواردة فيها والاستشهاد على طريقة استعمالها ودلالتها وصياغتها باستحضار نُتْفٍ من تلك النصوص، على طريقة القاموس التاريخي لسانٍ

بالي والقاموس التاريخي للأكاديمية الفرنسية، والجزء الصغير من "المعجم التاريخي" الذي كتبه المستشرق الألماني فيشر للغة العربية؟ وهل معناه ينحصر في وضع تاريخاً مضبوطة بالسنوات، أو تقريرية بالفتراتِ أو القرون، لظهور الكلمات واستعمالها بصيغة معينة أو معنى من المعاني؟ وهل ينبغي في هذه الحال، أن ندخل تحت عنوان «القاموس التاريخي» كل كتابٍ تضمنَ تواريحاً من هذا النحو، مثل سلسلة قواميس روبير الفرنسية وغيرها من القواميس الأوروبية العادية التي أصبحت تعتبر النص على تاريخ بداية استعمال الكلمة أو تاريخ إضافتها إلى معجم اللغة المدرسة، عُنصراً مطلوباً ومُعتاداً بين عناصر التعريف الأخرى في القاموسية الحديثة العامة؟ وعلى كل حال لقد أصبح من الواضح أنه ليس من الضروري أن ترد في عنوان أي قاموس صفة «تاريخي» لكي نعتبره قاموساً تاريخياً بالفعل. فقد تبين حقاً أن هناك قواميس تاريخية نموذجية لكنها مع ذلك لم تستعمل في عناوينها هذه الصفة، منها "قاموس أكسفورد الإنجليزي - OED"، و"ذخيرة اللغة الفرنسية - TLF"، و"القاموس الألماني - DW للأخرين غريم.

وكثيرٌ من اللغويين فهموا أن التاريخ لألفاظ اللغة مخصوصٌ في بحث أصوتها واشتقاقاتها وإجراء حفرياتٍ حول تطور صيغها وأصواتها ودلالاتها مما كان يدخل تحت مسمى علم الإيتيمولوجيا أو علم التأثيل أو التأصيل (وقد يُسمى: التّرسيس أيضاً). وهذا ما يجعلنا نلاحظ أن هنالك كثيراً من القواميس المشهورة التي عادةً ما تصنف ضمن القواميس التاريخية، تحمل عنوان «قاموس إيتيمولوجي»، ونذكر منها على سبيل المثال: قاموس أوسكار بلوخ وقاموس جاكلين بيكون، والكتاب الذي نشره ألبير دوزا سنة 1938م بعنوان: «قاموس إيتيمولوجي للغة الفرنسية»، وأعاد مراجعته جان ديبيا وهنري ميتيران وأصدراه في طبعة جديدة (1964م) بعنوان: «القاموس التاريخي والإيتيمولوجي للفرنسية»، لكنه صدر في طبعة لاحقة (2001م) بصيغة: «القاموس

«**الإيتيمولوجي**» دون أن يطأ أدنى تغيير على محتوى الكتاب بين هاتين الطبعتين الأخيرتين. بل إننا نجد في كل نماذج التجربة الفرنسية (من القرن 17 إلى القرن 20م) من القواميس التي تسمى بالإيتيمولوجية¹⁶، إصراراً أصحابها على إدراج أعمالهم ضمن مجال التأريخ للمعجم الفرنسي. فقد كتب أوغست براشى في مقدمة قاموسه المسمى: «**القاموس الإيتيمولوجي للغة الفرنسية**» (*Dictionnaire étymologique de la langue française*) يقول: «هذا القاموس الإيتيمولوجي هو التسمية الطبيعية لكتابي المسمى: «النحو التاريخي» الذي نشرته العام الماضي. لقد وضع في ذلك الكتاب تاريخ الصيغ النحوية للفرنسيّة، ومن أجل إتمام هذا العمل والوصول إلى رسم الدائرة الكاملة لتاريخ لغتنا، كان عليَّ أن أضع تاريخاً لألفاظها، وذلك هو موضوع هذا الكتاب. فهذا القاموس الإيتيمولوجي هو الذي سوف يكمل ذلك التاريخ». وحين يُعرف الإيتيمولوجيا يقول عنها إنها: «**شرح المعانى الصحيحة للكلمات عن طريق التاريخ لها**». ثم يُضيف:

16 - هناك لائحة طويلة من القواميس الفرنسية التي ألفت خلال الفترة المذكورة تحت عنوان : «**قاموس إيتيمولوجي للغة الفرنسية**» أو عنوانٍ قريب منه، نذكر منها بالإضافة لما ورد في ثيابا هذا البحث، العناوين الآتية على سبيل المثال لا الحصر، وأغلبُها ألفَ في القرن التاسع عشر وببداية القرن العشرين :

- *Dictionnaire étymologique des mots français dérivés du grec*, par J-B.Morin, 1809
- *Dictionnaire étymologique de la langue française*, par Jean-Baptiste de Requefort ,1829
- *Les principales étymologies de la langue française* , par Bernard Jullien , 1862
- *Dictionnaire étymologique de la langue française usuelle et littéraire*, par : Adolphe Mazure, 1863.
- *Dictionnaire étymologique des mots de la langue française dérivés de l'arabe , du persan ou du turc*, par Antoine Pihan , 1866
- *Dictionnaire étymologique de la langue française*, par : August Brachet, 1968
- *Dictionnaire étymologique des mots d'origine orientale*, par Marcel Devic ,1876
- *Dictionnaire d'étymologie française d'après les résultats de la science moderne*, par Auguste Scheler, 1888
- *Mélanges d'étymologie française*, par Antoine Thomas, 1902
- *Dictionnaire étymologique de la langue française* , par Léon Clédat , 1914

«سنعرض في هذا الكتاب الخطوط الأساسية لهذا التاريخ الطبيعي للغة¹⁷. وبالنسبة للإيمولوجي فهي تقدم للعالم [اللغوي] مساعدات غير متوقرة، إذ سوف تصبح في يده أدوات ثمينة هي بمثابة المِنْظار المُكَبِّر الذي يُمْكِنُه من فحص أدق التفاصيل. وهذه الأدوات ثلاثة هي: الدراسة الصوتية، والتاريخ، والمقارنة». وبفضل استعمال هذه الأدوات البحثية أصبح هذا العلم «يقدم من الخدمات ما عجل باحتلاله مكانة لا ينبغي التفريط فيها بين العلوم التاريخية».

أما إميل ليطري، فقد رأينا كيف تردد في تسمية كتابه بين «القاموس الإيمولوجي الجديد ...» و«القاموس التاريخي للغة الفرنسية»، وكيف أنه وضع مقدمة طويلة يشرح فيها أهمية التاريخ لألفاظ اللغة، وكيف اعتبر نفسه أول من عمل على إخضاع القاموس للتاريخ من كل ناحية». وحين تحدث عن الجوانب التي تشمل ميدان البحث الإيمولوجي للغة الفرنسية، ذكر أنها يجب أن تشتمل على خمسة عناصر أهمها : البحث في المعنى، والشكل (أو الصيغة)، وقواعد التحول والتغيير، والتاريخ .

وفي "القاموس العام للغة الفرنسية" (DGLF) لهاتسفيلد وصاحبها، نجد المؤلفين يوضحان مفهومهما للتاريخ بالقول : «المُهُجُّ التارِيُخِي لا يعني فقط أن نذكر المعاني المختلفة للكلمة مُنْطَلِقين من المعنى الأول الذي منه تفرّعت بقية المعاني (...) إن معرفة تاريخ اللغة يقتضي معرفة كيفية تكوين هذه اللغة. وأول عنصر من عناصر هذا التكوين، هو معرفة منابع المعجم الفرنسي المختلفة، أي تلك التي استمدّ منها هذا المعجم مادته اللغوية. فروافد اللغة الفرنسية مثلاً تتكون من الرَّصِيد اللاتيني الأوّلي، ثم ما أُضيف إليه من كلمات جاءت من اليونانية والسلتية والجرمانية والسلافية والإسبانية والإيطالية، واللغات السامية

17 - يشّهِي المؤلّف - مثل أستاذة إميل ليطري - علم التأثيل (الإيمولوجي) بعلم التشريح في الطب، ويقول إن علم التأثيل أصبح جزءاً من العلوم التي تخضع للملاحظة والتجربة مثل بقية العلوم الطبيعية الأخرى، وقد اعترف لها بذلك منذ ثلاثينيات القرن الثامن عشر.

... الخ. وينبغي بعد ذلك معرفة القوانين الصوتية التي أدّت إلى التغييرات والتحولات في عدد من الكلمات الفرنسية (...) وفي المرحلة الثالثة: معرفة القوانين النحوية التركيبية التي عملت عملها في تغيير التراكيب الفرنسية وصيغها الصّرفية..».

إذن، التاريخ لألفاظ اللغة بهذا المعنى، يدخل - عند مجموعة من اللغويين قدامى ومحديثين - ضمن المجال الواسع الذي كان يعطى للإيتيمولوجيا، أو هو أداتها الأساسية. وقد يُصبح مرادفاً لها ومُتضمناً لعناصرها المختلفة أحياناً، باعتبار أن أهم ما يطلب تحقيقه في قاموسٍ تاريخيٍ هو البحث في أصول الكلمات، وإجراء حفرياتٍ حول تغيير صيغها وأصواتها ومعانيها، وتتبع حالاتها عبر الحقب، ومقارنته حاضرها بحاضりها. لكن في النهاية، لا بدّ من القول إن كل تجرب المراحل السابقة، قد أفضت إلى وضع مفهومٍ حديثٍ للقاموس التاريخي للغة، يمكن أن نستمدّ عناصره الأساسية من النماذج المتأخرة التي ظهرت من هذا النوع من القواميس، وأخصّ بالذكر منها قاموسين اثنين هما : 1) «القاموس التاريخي للغة الفرنسية» (DHLF) الذي أصدرته دار روبير (1992) وأشارَ على تجرب الشهير آلان رـي. 2) «ذخيرة اللغة الفرنسية» (TLF) (1994) الذي أصدرَه المركز الوطني للبحث العلمي في فرنسا بإشراف لغوٍ شهير أيضاً وهو العميد بول إمبـس. ومعلوم أن هذين القاموسين الفرنسيين الحديثين قد استفادا - أولاً - من التجارب الفرنسية المتّصلة والمتردّجة طيلة ثلاثة قرون في محاولة كتابة تاريخ المعجم الفرنسي، كما استفادا - ثانياً - من التجارب الأوروبيـة الأخرى المواكبة بصفة عامة، ومن تجربتي القاموسين الألماني والإنجليزي (أكسفورد) اللذين بدأ العمل فيهما منذ القرن التاسع عشر، بصفة خاصة. وهذه العناصر الأساسية التي أشارنا إليها هي التي تضمنها تعريفنا المركـز للقاموس التاريخي حين قلنا في بحث سابق إنـه ينبغي أن «يتناول الشـكل والمـضمون، أي

الدال والدلول، ويرصد كلّ أوجه التطور أو التغيير في المعاني والألفاظ، ويُتابعها في كلّ أبعادها الزَّمانية والمكانية، وفي كلّ مجالات الاستعمال ومُستوياته¹⁸. ومعنى هذا أن مفهومنا للتاريخ المعجمي يشمل كلّ الجوانب التي ترصد مختلف التغييرات التي تطرأ على اللُّفظ، صوتاً وصيغةً وصرفًا ودلالةً وطريقةً تركيبٍ واستخدامٍ، عبر مراحل استعماله كلّها وفي كلّ المجالات والبيئات والمستويات. وهذا لا يمكن أن يتمّ ويكتمل إلا بعنصر التأليل والتوصيل والاحفر في أركيولوجية الكلمات والبحث في مصدرها ومعرفة مدى أصالتها وعراقتها في اللغة المؤرخ لها، أو انتقالها وهجرتها من لغة إلى أخرى. وكم في رحلة الكلمات من قصصٍ طريفةٍ وحكايات ممتعة تفتح الأفاق الواسعة لكل الباحثين في تلاقي الحضارات والثقافات وتدخل اللغات وتتطورها صيغاً ودلالاتٍ.

في إيتيمولوجية اللُّفظ - خلافاً لما يعتقد البعض - جزءٌ أساسي من التاريخ له، وإن كان ليس وحده كافياً دون بقية العناصر. ولعل ضرورة الجمع بين كل هذه العناصر هي التي جعلت بعض المؤلفين يحِّصون على أن يجتمعوا في عناوين قواميسهم بين لفظي «التاريخ» و«الإيتيمولوجيا» رفعاً لكل التباس. من ذلك كتاب ديبوا وصاحبيه الذي ذكرنا سابقاً أنه طُبع منذ سنة 1964 بصيغة: «القاموس الإيتيمولوجي والتاريجي للغة الفرنسية»، ثم طُبع أيضاً (الاروس 2001) بعنوان مختصر وهو: "القاموس الإيتيمولوجي"¹⁹. ومن ذلك أيضاً كتاب بومغارثني ومينار الذي طُبع (1996) بعنوان: "القاموس الإيتيمولوجي والتاريجي للغة الفرنسية".

3 - ما له صلة بال نقطتين السابقتين المتعلقتين بتحديد مفهوم القاموس التاريجي من جهة، وتحديد هدفه من جهة ثانية، أن نسأل: هل نريد لقاموسنا

18 - انظر : الودغيري : التاريخ لمعجم اللغة العربية...

19 - وفي سنة 2007 أعيد طبعه مرة أخرى بالصيغة الأولى :

الذي يُطلَبُ إنجازُه أن يكون قاموساً لغوياً تارِيخيّاً (ق ل ت) أم قاموساً تارِيخيّاً للغة (ق ت ل)؟ والفرقُ بين النوعين كما بيَّنتُ في بحث سابق²⁰، أنَّ الأول هو في الأساس قاموسٌ لغوِيّ عام، موجَّهٌ في العادة إلى الجمهور الواسع من القراء، وغايتُه الأساسية هي شرُحُ معانِي الألفاظ، وتوضيُحُ طريقة استعمالها بشكل صحيح، ولا يختلف عن سائر القواميس اللغوِيَّة العامة إلا بإضافة عنصر جديد، هو العنصر التارِيخي، إلى بقية عناصر التعريف الضروريَّة المعروفة. وقد ينحصرُ دورُ العنصر التارِيخي في هذه الحالة، في النَّصِّ على تاريخ ظهور الكلمات واستعمالاتها، وقد يتَضمنَ أيضاً، في تركيز تامٍ، القدر الضروري من الجائب التأثيلي. وهذا أمرٌ أصبحَ اليوم تقليداً مُتبَعاً ومُقتضى معمولاً به في أغلبية القواميس اللغوِيَّة العامة الحديثة في الغَرب منها تنوَّعت أهدافُها وغاياتُها، وذلك منذ القرن التاسع عشر كما أشرتُ سابقاً، وإن لم يكن عُنصراً إلزاميًّا وضروريًّا في كل قاموس لغوِيّ عام²¹.

أما الثاني (ق ت ل)، فهو مُوجَّهٌ إلى فئة محدودةٍ من القراء، وهي فئة الباحثين المختصين والمهتمِّين بالبحث في تاريخ اللغة وأصولها واشتقاقها وتَغيُّراتها وتطورها ومراحل حياتها، وعلاقتها باللغات الأخرى. لذلك، فهو ليس قاموساً للمعاني ولا قاموساً تعليمياً أو يداغُوجِيًّا، إذ ليس من وظائفه تعليمُ طريقة استعمال الألفاظ وحسِنِ تركيبها. وإنما غايتها الأولى والأساسُ، هي التاريخُ لتطورُ ألفاظ اللغة صيغةً ومضموناً، صوتاً ودلالةً. فالتاريخُ هنا هدفٌ مقصودٌ ومطلوبٌ لذاته، وليس مجرد عنصرٍ فقط من عناصر التعريف المُكمِّلة كما في النوع السابق. ويدخل ضمن مفهوم التاريخ في هذه الحالة: البحثُ في نشأة الكلمات ومراحل حياتها من ميلادها وطفولتها، إلى فترة ازدهارها وقوتها

20 - الودغيري : التاريخ لمعجم اللغة العربية... .

21 - من القواميس اللغوِيَّة العامة الحديثة التي لم تلتزم بذكر العنصر التارِيخي بشكل ضروريٍّ ومنتظمٍ في كل المدخل، سلسلة قواميس لاروس. عكس سلسلة قواميس روبيير (روبير الكبير وروبير الصغير) التي التزمت بذكر العنصر التارِيخي بشكل مُنتظم.

فُكَهُولْتَهَا وَشَيْخُوْخَتَهَا وَضَعْفَهَا وَتَرَاجُعَهَا أَوْ مُوتَهَا وَانْقِراصَهَا، وَمَا تَوَلََّهَا عَنْهَا وَاشْتَقَّ مِنْهَا، سَوَاءٌ فِي حَالٍ اسْتِقْرَارِهَا فِي بَيْتِهَا الْأَصْلِيَّةِ، أَمْ فِي حَالٍ انتِقَالِهَا مِنْ لِغَةٍ إِلَى أُخْرَى، وَمِنْ حَقْلٍ إِلَى حَقْلٍ، وَمِنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى، وَمِنْ صَبِيْغَةٍ إِلَى صَبِيْغَةٍ، وَتَوْثِيقِ نَسَبِهَا وَمَدَى أَصْالِتِهَا وَعَرَاقِهَا فِي لِغَةٍ مُعَيْنَةٍ أَوْ طُرُوْجَهَا عَلَيْهَا. وَذَلِكَ كُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي اتَّبَعَتْهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْقَوَامِيسِ الْغَرْبِيَّةِ الْمُتَخَصِّصَةِ.

وَرَغْمَ أَنَّ لَكُلَّ مِنَ النَّوْعَيْنِ غَايَتَهُ وَهُدُفَهُ وَجُمْهُورَهُ وَقُرَاءَهُ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُكَمِّلٌ لِلآخِرِ، فَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الْلِغَةَ الْعَرَبِيَّةَ تَفَتَّقَ إِلَيْهَا مَعًا، وَلَا أَحَدٌ مِنْهُمَا يُغْنِي عَنِ الْآخِرِ، فَإِنْ تَمَّ الْعَمَلُ لِأَجْلِهِمَا مَعًا فِي آنِ وَاحِدٍ، فَفِي ذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ وَخَدْمَةٌ جَلِيلَةٌ لِلْلِغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. وَغَايَةُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنْ كَلَّا مِنْهُمَا سِيَّحَتَاجُ إِلَى خُطْبَةٍ إِنْجَازٍ خَاصَّةٍ، وَأَنَّ الْمَشَقَّةَ سَتَكُونُ مُضَاعِفَةً وَلَوْ أَنَّهَا ضَرُورِيَّةٌ لَا مَفْرَرٌ مِنْهَا فِي النَّهَايَا. لَكِنَّ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّا لَوْ فَكَرْنَا بِمَنْطِقَةِ تَرْتِيبِ الْأُولَوِيَّاتِ، لَوْجَدْنَا أَنَّ الْحَاجَةَ إِلَى النَّوْعِ الثَّانِي هِيَ الْأَكْثَرُ إِلَحَاحًا فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ، وَلَا سِيمَا أَنَّ جَزءًا مُهِمًا مِنَ الْمَعْلُومَاتِ وَالْعَنَاصِرِ التَّارِيْخِيَّةِ وَالتَّأْثِيْلِيَّةِ الَّتِي سَوْفَ يُوْفَرُّهَا النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ هَذِهِ الْقَوَامِيسِ، سَيُوْظَفُ وَيُسْتَغَلُ فِي صَنَاعَةِ النَّوْعِ الْأَوَّلِ أَيْضًا.

4- ثُمَّ هَنَاكَ سُؤَالٌ آخَرُ: هَلْ نَرِيدُ لِقَامُوسِنَا هَذَا أَنْ يَؤْرُخَ لِكُلِّ الْفَاظِ الْلِغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي كُلِّ أَزْمِنَتِهَا وَأَمْكِنَتِهَا وَكُلِّ مَجاَلَاتِ اسْتِعْمَالِهَا وَمَسْتَوِيَّاتِهَا، أَمْ نَرِيدُ التَّارِيْخَ فَقْطَ لِنَوْعِ خَاصٍ أَوْ فَتَّةٍ مُعَيْنَةٍ أَوْ قَائِمَةٍ مُحَدَّدَةٍ مِنْهَا؟ وَبِمَعْنَى آخَرُ: هَلْ نَرِيدُهُ قَامُوسًا شَامِلًا وَمُسْتَوِعًا بَدْرَجَةِ مُعَيْنَةٍ، أَمْ نَرِيدُهُ قَامُوسًا اِنْتِقَائِيًّا وَاصْطِفَائِيًّا؟ وَإِلَى أَيِّ حَدٍّ قَدْ يَصْلُ الْاسْتِيعَابُ أَوْ درَجَةُ الْاِنْتِقاءِ إِنْ سَعَيْنَا إِلَى ذَلِكَ باِعْتِبَارِ أَنَّ فَكْرَةَ الْاسْتِيعَابِ التَّامُ لَا يَمْكُنُ تَحْقِيقُهَا وَالْوُصُولُ إِلَيْهَا فِي أَيِّ قَامُوسٍ كَانَ؟ وَمَا هِيَ مَعايِيرُ الْاِنْتِقاءِ وَالْاصْطِفَاءِ الَّتِي سَنُضُطَّرُ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ الْحَالِ؟

وَهَذَا سُؤَالٌ كَبِيرٌ يُمْكِنُ تَفْرِيْعُهُ إِلَى أَسْئَلَةٍ أُخْرَى مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ المَثَالِ لَا
الْحَصْرِ:

٤ - هل نريد التاريخ للعربية القديمة (منذ أقدم صيغها التي وصلت إلينا في شكل نقوش) والحديثة، وما بين المرحلتين من مختلف العصور، أم نريد التاريخ للعربية الحديثة فقط؟ وبمعنى آخر: هل نريد التاريخ للمُستعمل الحيّ من ألفاظ لغتنا العربية إلى جانب ما شاخ منها أو أهمل وهجر وسقط من الاستعمال؟

إنَّ من بين التعريفات المشهورة اليوم لُعجم اللغة، هو أنه نظام مفتوح على باب تدخل منه الألفاظ الجديدة والمُستحدثة، وأخر تخرج منه الألفاظ والاستعمالات المقادمة التي يقع تهميشها والتخلّي عنها لأسباب كثيرة، وأنه لذلك في تطور وتغيير مستمرّين. ولقد أصبحت القاعدة المتّبعة في القاموسية الحديثة تقضي بضرورة تحجيم المادة المعجمية في القواميس اللغوية العامة ومراجعتها بين فترة وأخرى، بغاية التخلص من الألفاظ المقادمة الساقطة من الاستعمال، وإدخال الألفاظ الحديثة والمُستَجَدَّة التي تواكب العصر. إذ لا يعقل اليوم أن تفتح قاموساً لغوياً عاماً فتتجده مليئاً بالألفاظ العتيقة الغربية عن لغة العصر وحاجة الناس، وفي الوقت ذاته فارغاً أو فقيراً في جانب الألفاظ الحديثة المعبّرة عن الحياة الجديدة وأسماء الأدوات والآلات والأفكار والظواهر والمفاهيم وكل الأشياء الأخرى المُتداوَلة. لكن، هل معنى هذا أن القاموس التارينجيّ عليه بالضرورة أن يتخلص من الألفاظ القديمة والمهجورة الخارجة عن دائرة الاستعمال، كما يفعل أيُّ قاموس لغويّ عام؟ وهل هو قاموسٌ لمواكبة ألفاظ العصر أم لمواكبة ألفاظ كل العصور؟

هنا لك توجّهان في الموضوع سلكتهما القواميس التارينجية الحديثة، ولكلٌّ منها غاياته ومبرراته وأهدافه. بعضها مال نحو تدوين كل ما استطاع الوصول إليه من الألفاظ منها كانت وضعيتها قديمة أم حديثة، حيةٌ مُتداوَلة، أم توقفَ استعمالها وأصبحت من المهجور المأتروك. وهذه هي الطريقة التي سلّكها قاموس

أكسفورد الإنجليزي. وبعضاًها الآخر مال نحو الاتكفاء بالتاريخ لما هو حيٌّ وحديثٌ متداولٌ، وغضَّ الطرفَ عن الباقي، فلا يتطرقُ إليه إلا عند الاقتضاء، أي عندما يكونُ الرجوعُ إليه ضروريًا للتاريخ للألفاظ الحديثة. وذلك هو التقليد الذي سارت عليه أغلبيةِ القواميس الفرنسيَّة الصادرة من القرن السابع عشر²². ومنها قاموس ليطري (1872م)، وقاموس هاتسفيلد (1890م)، وقاموس بلوخ (1932م)، وقاموس روبير التاريخي (1992م) الذي اعتبرَ اللغة الفرنسيَّة القديمةَ بمثابة «لغةٍ أجنبية» لا يرجعُ إليها إلا عند الحاجة إلى معلوماتٍ ضروريَّة لاستكمالِ الجوانب الناقصة في التاريخ للفظ من ألفاظ اللغة الحديثة²³، و«ذخيرة اللغة الفرنسيَّة» (TLF) (1994م)، وغيرها. وأعتقدُ أنه، للخروج من هذه الخيرة بين الوجهتين، يمكننا من حيث المبدأ أن نتبينَ الطريقتين معاً، فنسعى لوضع قاموسين تاريخيين أحدهما يكون مطولاً ومستوعباً لكل ما يمكن الوصولُ إليه من ألفاظ العربية قديمها وحديثها، وآخر مختصرٌ ومقتصرٌ على الألفاظ الحديثة.

بل هنالك توجُّه ثالثٌ سلَكه بعضُ القواميس التاريخية الغربية المختصرة، وهو إعمالٌ مبدإ الاختيار والانتقاء حتى داخل صنف الألفاظ الحديثة نفسها.

22 - هذه الطريقة لم تبعدها القواميس الحديثة التي أرَّخت للغة الفرنسيَّة، وإنما سَنَّها من قبل قاموسُ الأكاديمية الفرنسيَّة منذ طبعته الأولى الصادرة سنة 1694م، وكذلك القاموس التاريخي للغة الفرنسيَّة الذي أصدرته هذه الأكاديمية ما بين سنتي 1863 و1894م.

23 - جاء في مقدمة هذا القاموس: «موضوع قاموس روبير التاريخي هو المفردات الفرنسيَّة الحديثة، أما الألفاظ التي اختفت وخرجت من الاستعمال، فلم يقع الاهتمام بها إلا من أجل إضاعة جوانب تتعلق بتطور الكلمات الحية. فالفرنسية القديمة تعتبرها من هذه الناحية لغة أجنبية نستعين بها فقط عند الاضطرار لتوضيح الاستعمال الحديث».

و جاء في مقدمة «القاموس التأثيلي والتاريخي للغة الفرنسيَّة» لبومغارتي وميتران: «لم يكن من بين أهداف عملنا أن نجمع بين ألفاظ الفرنسيَّة بدءاً من الفرنسيَّة القديمة إلى فرنسيَّة العصر الوسيط ثم فرنسيَّة القرن العشرين. فالمُعجمُ القديمُ الذي احتفَى من حياة اللغة ليس له الحق في الوجود ضمن قاموس اللغة الفرنسيَّة الحديثة. وفي هذه النقطة خالقنا منها دوزا وديبورا وميتران». والمؤلفان يُشيران هنا إلى «القاموس التأثيلي والتاريخي للغة الفرنسيَّة الذي أله دوزا، ثم أعاد النظر فيه ج. ديبورا وه. ميتران».

فقاموسُ بومغارْتني ومينار المُشار إليه سابقًا، اختارَ هذا الطريقَ ووضَّح ذلك بأن قال: «لقد آلينا على أنفسنا أن نُميِّز بين ما هو أساسٍ أو جوهريٍّ من الألفاظ وما هو ثانويٍّ أو تكميليٍّ. ولذا، وقع تركيزُ اهتمامنا على الألفاظ الأساسية التي رأينا أنها لم تَحتَّل مكانتَها الواسعة في هذا النوع من القواميس. وقد أولَينا الاهتمام نفسه للألفاظ الدالة على الأفكار مثل (nature) و(nation)، وكذلك الألفاظ الدالة على بعض الحقائق الثابتة والمؤثرة في الحياة الاجتماعية مثل: (demoiselle) و(valet) ...».

4 - 2 - هل نؤرّخ للغة كُلّ عصرٍ على حِدَةٍ (قاموس العصر الجاهلي - قاموس العصر الإسلامي الأول - قاموس العصر العباسي - قاموس عصر المماليك - قاموس العصر الحديث - قاموس الفترة المعاصرة ..) كما تميلُ إلى ذلك بعضُ الآراء، وكما جرى به العملُ فعليًّا في بعض التجارب من قواميس اللغات الأوروبيَّة²⁴، أم نؤرّخ للغة كُلّ العصور جملةً واحدةً؟ وفي اعتقادِي أن هذا لا يمنع من ذاك. وإذا كان المشروعُ الكبير الذي تفكَّر فيه نخبةُ الأمة حالياً وتسعى لإخراجه في أسعَ وقِتٍ ممكنٍ، هو القاموس الشاملُ الذي يؤرّخ للغة في عصورها جميعاً، فهذا لا يمنعُ من توزيع عملية التنفيذ وتقسيمه على مراحلٍ متتابعة، عصراً عصراً، ومرحلةً مرحلةً. ثم في النهاية تُجتمع الحصائرُ الجزئية هذه المراحل بعضها إلى بعض، لتصل إلى الحصيلة العامة. وليس شرطاً في هذه الحال،

24 - من الأمثلة على ذلك في اللغة الفرنسية: قاموس اللغة الفرنسية في القرن السادس عشر Edmond (Dictionnaire de la langue française du seizième siècle) لإدمون هوجي (Huguet)، وقاموس الفرنسيَّة المتوسطة: فرنسيَّة العصر الوسيط (Dictionary du moyen français) (Julien Greimas et T.M.K) (Godefroy) (F.Godefroy) الذي جمع فيه اللغة الفرنسية من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر الميلادي . وانظر حول بعض التجارب الأخرى في اللغتين الألمانيَّة والروسيَّة، مقالة كلٍّ من عبد الرزاق مسلك بعنوان: صناعة المعاجم التاريخيَّة بألمانيا، وحميد العزوzi بعنوان: المعجم التاريخي للغة الروسية، ضمن كتاب : ندوة المعجم التاريخي للغة العربية 2011.

من جعل العصر الأول أو الأقدم للغة هو نقطة البداية في كتابة القاموس، إذ يمكن أن تكون نقطة البداية من العصر الأخير، أي من الألفاظ المستعملة والمُتداولة في الوقت الراهن. وكل ما في الأمر هو أن اللغة الحديثة والمعاصرة فيها كثيرٌ جداً من الألفاظ التي يعود تاريخ ظهورها إلى عصور سابقة قديمة ومتوسطة، لكنها استمرت في الوجود والاستعمال بلا انقطاع إلى وقتنا هذا. فهي قديمة من وجِهِ حديثة من وجِهِ آخر. ومؤرخُ المعجم سيكون مضطراً، حين التعرُّض لها، إلى الرجوع خطواتٍ إلى الوراء، باحثاً عن جذورها ونقطة انطلاقها في تلك الأزمنة القديمة، ومتبعاً مراحلَ تطورها إلى آخر لحظةٍ في حياتها المعاصرة. ومعنى هذا أن الذي يؤرخ للغة الحديثة والمعاصرة لن يكون في غنى عن البحث في تواريُخ المراحل السابقة ليستفيد منها ويعتمد عليها. وكلما توفرَ قدرٌ كبيرٌ منها كان ذلك أفيداً له ومساعداً في تسهيل مهمته والإسراع في إنجازها.

4 - 3 - هل نريد التاريخ للعربية المكتوبة وحدَها أم للمكتوبة وغير المكتوبة على حد سواء؟ وبعبارة أخرى: هل نؤرخ للفصحي دون غيرها، أم نُضيف إليها اللهجات والعاميات على اختلاف أزمنتها وأمكنتها في مختلف بيئاتها العربية؟ وما مفهوم الفصاحة وما هي معايرها في هذه الحال؟ وفي ذلك كلامٌ كثيرٌ شرحناه وفصّلناه في غير هذا المكان²⁵.

4 - 4 - هل نريد التاريخ لكل أنواع الألفاظ اللغوية من ألفاظ عامة وأسماء أعلام ومصطلحات علمية وتقنية، أم نريد الاقتصار على الألفاظ العامة دون غيرها من أسماء الأعلام والألفاظ التقنية والعلمية؟ أم نؤلف قواميس تاريجية متخصصة بكل نوع من الألفاظ وهو أمرٌ ممكن ومفيدٌ ومحتجٌ إليه أيضاً؟

25 - راجع حول هذه النقطة بالذات بحثنا المنشور ضمن أعمال ندوة المعجم العربي التاريجي التينظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس سنة 1989م بعنوان: قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريجي.

والذي دَأَبَتْ عليه أَغْلِيَةُ الْقَوَامِيسِ التَّارِيخِيَّةُ الْغَرِيبَيَّةُ ابْتِدَاءً مِنْ "القاموس التَّارِيْخِيِّ لِلْأَكَادِيمِيَّةِ الفَرَنْسِيَّةِ" - وَهُوَ مِنْ أَقْدَمِ الْقَوَامِيسِ التَّارِيْخِيَّةِ الْأَوْرُوبِيَّةِ - هُوَ الْاِكْتِفَاءُ بِالْفَاظِ الْلُّغَةِ الْعَامَةِ الْمُشْتَرَكَةِ، وَتَرَكُّ ما عَدَ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ وَاصْطِلَاحَاتِ الْعِلْمِ وَالْفَنُونِ وَالتَّقْنِيَّاتِ، وَلَا سِيَّما مَا كَانَ مِنْهَا مُوْعِلاً فِي الْحُصُوصِيَّةِ، لِيُوْضَعَ فِي كُتُبِ مُخْتَصَّةٍ. جَاءَ فِي مُقْدِمَةِ هَذَا الْقَامُوسِ الصَّادِرِ جُزْءُهُ الْأَوْلَ سَنَةَ 1865 مَا تَرَجَّمُهُ: «إِنَّ الْلُّغَةَ الَّتِي انْكَبَتْ إِلَى الأَكَادِيمِيَّةِ عَلَى تَدْبِيجِ تَارِيْخِهَا، هِيَ لُغَةُ الْحَيَاةِ الْعَامَةِ وَلُغَةُ الْأَدَبِ». أَمَّا غَيْرُهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الْخَارِجَةِ عَنْ هَذِهِ الْلُّغَةِ الْعَامَةِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَ الْجَمِيعِ، مِنْ قَبْلِ لُغَةِ الْعِلْمِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْمَهَنِ وَالصِّنَاعَةِ بِأَنْواعِهَا، فَهِيَ اصْطِلَاحَاتٌ خَاصَّةٌ يَكُونُ لَهَا عَادَةٌ مَعْنَىً وَاحِدٌ ثَابِتٌ لَا يَتَغَيِّرُ وَلَيْسَ لَهَا مَعْنَى فَرَعِيَّةٌ، وَبِالْتَّالِي لَا يَكُونُ لَهَا تَارِيْخٌ. وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، يُسْتَحِسَنُ أَنْ يُحْتَفَظَ بِهَا فِي قَوَامِيسِ مُتَخَصِّصَةٍ. هَذَا هُوَ الْمَوْقُفُ الَّذِي اخْتَذَهُ الْأَكَادِيمِيَّةُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْفَاظِ الْعَلْمِيَّةِ وَالتَّقْنِيَّةِ بِصَفَةِ عَامَةٍ، إِلَّا مَا كَانَ لَهُ اسْتِعْمَالٌ أَدَبِيٌّ [أَيْ رَائِجٌ فِي الْلُّغَةِ الْأَدَبِيَّةِ الْعَامَةِ] وَجَرَى بِهِ الْاسْتِعْمَالُ الْعَامِ». عَلَى أَنَّ هَذَا الْمَوْقُفَ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ وَالْاِصْطِلَاحَاتِ ظَهَرَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي الْقَوَامِيسِ الْلُّغُويَّةِ الْعَامَةِ الْغَرِيبَيَّةِ مِنْذِ الْقَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ، وَأَشْهَرُهَا قَامُوسُ الْأَكَادِيمِيَّةِ الْفَرَنْسِيَّةِ مِنْ طَبْعَتِهِ الْأُولَى سَنَةَ 1694 م²⁶. بَلْ لَقَدْ وَجَدْنَا هَذَا التَّوْجِهَ وَاضِيْغًا مِنْذِ قَامُوسِ رِيشَلَيْهِ الصَّادِرِ سَنَةَ 1680 م²⁷، الَّذِي اعْتَادَ مُؤْرِخُو الصِّنَاعَةِ الْقَامُوسِيَّةِ الْفَرَنْسِيَّةِ

26 جاء في مقدمة هذه الطبعة الأولى من الكتاب : «إذا كانت الأكاديمية قد أهملت اصطلاحات الفنون والعلوم وأسقطتها من قاموسها، فإنها لم تجد فائدةً في تطبيق هذا الإهمال على ما تحوّل من تلك الاصطلاحات إلى ألفاظ عامة وأصبح جزءاً من لغة الخطاب العادي ومستعملًا في تعبيرات مجازية...». لكن الأكاديمية أصدرت فيها بعد (1842م) تكميلة للطبعة السادسة من قاموسها اللغوي العام بعنوان: Complément du dictionnaire de l'académie، فتضمنت عدداً كبيراً من الألفاظ الاصطلاحية والتقنية.

- أعلن بيير ريشليه Pierre Richelet هذا الموقف من الألفاظ التقنية منذ عنوان كتابه الذي أكد فيه أنه سيقتصر على ألفاظ الفنون والعلوم الأكثر شهرة. فقد جاء هذا العنوان الطويل على النحو الآتي:

Dictionnaire français, contenant les mots et les choses, Avec les termes les plus connus des arts et des sciences. Le tout tiré de l'usage et des bons auteurs

على اعتباره أول قاموس لغويٌّ حقيقيٌّ، من نوع القواميس العامة الأُحادية اللغة، ظهرَ في تاريخ اللغة الفرنسية كله²⁸. فصار هذا المنهج - بعد ذلك - تقليداً مُتبِعاً في القاموسية الفرنسية والغربية عموماً، مع استثناءات قليلة منها كتاب فيروتير²⁹. وهو التقليد نفسه الذي كان سائداً في القاموسية العربية منذ نشأتها على يد الخليل بن أحمد في "كتاب العين" (ق2هـ/8م)، وأصبح أمراً متعارفاً عليه طيلة القرون اللاحقة في كل القواميس العامة للغة العربية منذ بدايتها إلى العصر الحديث، إلا ما شدَّ عن ذلك وهو قليل جداً³⁰.

وال موقفُ السليم فيما يتعلَّق بهذه النقطة، هو عدمُ التطرف في هذا الاتجاه أو ذاك. سواء بالنسبة للقاموس اللغوي العام أم القاموس التاريخي للغة. فليس من المقبول إبعادُ كلِّ الألفاظ التقنية واصطلاحات العلوم إبعاداً نهائياً، وتاماً، ولا

= = = (قاموس فرنسي يشتمل على الكلمات والأشياء ... مع ألفاظ الفنون والعلوم الأكثر شهرةً. والكل مأخوذه من اللغة المستعملة وما هو وارد لدى أحسن المؤلفين).

28 - اعتاد مؤرخو القاموسية الفرنسية على اعتبار هذا الكتاب أول قاموس أحادي اللغة في تاريخ الفرنسية، رغم كونه مسبوقاً ببعض القواميس التأثيلية مثل كتاب ميناج (1650) وكتاب الأب فيليب لاب (1661) المذكورين من قبل.

29 - كتاب أنطوان فيروتير Antoine Furetière طُبع سنة 1690م بعنوان طويل جاء على النحو الآتي: «Dictionnaire universel ,contenant généralement tous les mots français tant vieux que modernes, et les termes de toutes les sciences et des arts ...»

(= قاموس عالمي يشتمل بصفة عامة على كل الكلمات الفرنسية سواء كانت قديمة أم حديثة، وكذلك كل مصطلحات العلوم والفنون). وقد كان فيروتير من أعضاء الأكاديمية الفرنسية المعارضين لفكرة إهمال الألفاظ التقنية واصطلاحات العلوم، فحاول إصدار كتابه هذا قبل ظهور قاموس الأكاديمية الذي طبع بعده بأربع سنوات.

30 - كان القاموس المحيط للفيروزبادي أبرزَ مثالٍ على هذه الاستثناءات التي لم تلقَ تجاوباً وقبولاً من فئة عريضة من نقَّاد الصناعة القاموسية القدماء والمحدين. وأشهر من رفع سلاح المقاومة ضد تيار الفيروزبادي الذي تجرأ على خرق العُرف المتبع بإدخاله أسماء الأعلام البشرية والجغرافية واصطلاحات العلوم والفنون وحشرها ضمن الألفاظ العامة، هو أبو عبد الله محمد بن الطيب الشرقي الفاسي في حاشيته الشهيرة على القاموس، ومن المتأثرين به من المعجميين المتأخرین أَحمد فارس الشدياق في كتابه الشهير: الجاسوس على القاموس . وراجع في الموضوع كتابنا: قضايا المعجم العربي

إدخالها جمِيعاً على وجه العموم والشُمول. فهناك ألفاظٌ من هذا النوع شاعَ استعمالها في اللغة العامة المشتركة ولم تعد مقصورةً على أهل الفنون والحرف والعلوم والتَّقنيات، وهذا لا معنى لغَضِ الطرف عنه أو تحاشيه وتهميشه، وهناك النوع الآخر الذي ظلت معرفته مقصورةً على دائرةٍ ضيقَةٍ من مستعمليه في علم أو فنٍ أو تقنية معينةٍ، وهو ما اتفقت القواميسُ اللغوَيةُ العامة على رفضه وأوكَلت أمره إلى القواميس التَّخصُصيَّة. لكن هذا الموقف المعتدل الذي اتَّخذته القواميسُ اللغوَيةُ العامة، ليس مُسلِماً به ولا مُبرراً عند جميع مُنظري القاموسية التَّاريخيَّة. إذ هناك من يرى أن التَّأريخَ لمعجم لغة معينة لا يكون كاملاً إلا بإدخال جميع أنواع الألفاظ دون استثناء، ما كان تقنياً منها وما كان مُشتَركاً، خاصاً كان أم عاماً. فالتأريخ لمعجم اللغة سيظلُ ناقصاً إذا لم يتطرق لكل لغَظٍ من ألفاظ تلك اللغة سواء كان عاماً أم خاصاً، مُشتَركاً أم غير مُشتَرك، قدِيمًا أم حديثاً، حياً مُستعملاً أم مهجوراً متروكاً.

4-5- هل نريد القيام بمسح تامٍ لكل ما كُتب بالعربية قدِيمًا وحديثاً في كل المجالات والعصور والبيئات وبكل المستويات، أم ينبغي اللجوء إلى طريقة الانتقاء والاختيار للهادفة المعجمية من مصادر محددة في القديم والحديث، ننتقيها بعنايةٍ مخصوصة وبمعايير معينةٍ يقع الاتفاقُ عليها؟ ولكل من الاتجاهين دُعاءً ومناصرون وحججٌ وأدلةٌ لها وجاهتها ومنطقها المقبول.

ونحن وإن كنا - مبدئياً - من أنصار الرأي الأول في هذه النقطة، وحُججتنا منذ البداية أننا مع مبدأ الاستيعاب قدر المستطاع، ولو اقتضى ذلك البُطء في إنجاز العمل وإخراجه على مراحل، إلا أن الفراغ التام الذي تعرفه اللغة العربية في هذا الجانِب، وانعدام أي نوع من القواميس التَّاريخيَّة الذي يسدُّ هذا الفراغ ولو جزئياً، قد يفرضان علينا الحضوع مرحلةً لأحكام الظروف الاستعجالية الأكثر إلحاحاً في هذا الوقت، والقبول بفكرة انتقاء المصادر وتقليل حدودِ

المدونة، عملاً بقاعدة الحَسَن عَدُوُّ الْأَحْسَن. وهذه الخطوةُ القريبةُ الأجل لا تمنع بحالٍ أن تكون بجانبها خطوةٌ أخرى بعيدةٌ المدى تهدفُ إلى مواصلةُ الحِفْر في أركيولوجية اللغة طولاً وعرضاً حتى يتم استيفاءُ كلِّ الطاقات والإمكانيات والوصول إلى كلِّ أنواع المصادر المتاحة والمُمكِنة حتى تلك التي سوف يتيحُها ويكشفُ عنها المستقبل، ولعل هذا هو الهدف الذي رسَّمه واضطُّعوا مشروع ذخيرة اللغة العربية (أَنْتَرِتُتُ العربية). فتحقيقُ مشروع هذه الذخيرة سيضع أمامنا المادة اللغوية الكافية لإنجاز القاموس التارِيخي في نسخته الواقِفَةُ المستوىَيْة.

5 - وفيما إذا استقرَّ الرأيُ على أن يكون القاموسُ التارِيخيُ شاملًا لمختلف العصور والحقَّب التارِيخيَّة، فمن أين يكون البدءُ؟ هل من نقطة معينة في العصر الحديث، ثم ننحدر نُزولاً إلى أعمق الطبقات الجيولوجية الضاربة في جذور الماضي السَّحيق؛ أم نريد العكس، أي: البدء بأقدم طبقات العصور المعروفة إلى أن نلامس القشرة الظاهريَّة لهذا التاريخ التطوري فنقفَ به عند نقطة معينة من الاستعمال الحديث؟ وكلُّ طريقة لها مُبرِّرها ودُعَّاتها وأنصارُها. (راجع ما قلناه في الفقرة 4-2- السابقة).

6 - وسواءً أكان هذا القاموسُ مُستوِّعاً أم غير مُستوِّعاً، شاملًا لكلِّ الحقَّب والألفاظ أم كان خلافَ ذلك، لا بد أن نسأل أيضًا: هل نريده في حجمه ومعلوماته وما دَّنه المعجميَّة وتعريفاته وشواهِدِه وتحليلاته ولغته الواسِّفة، أن يكون خُتَّاراً ومرَّكزاً على طريقة عدد من القواميس التارِيخيَّة الغربيَّة المختصرة التي ظهرَت في أوروبا في حجم كتاب الجَيْب (ومنها قاموس أوسكار بلوخ المشار إليه قبلًا، وكتاب جاكلين بيكونش، وكتاب جان ديبيا وصاحبَيه، وسيأتي الحديثُ عنها لاحقاً)، أم نريده تارِيخاً مكتوبًا بطريقة موسوعية مُتَضَمنًا أكثرَ ما يمكن من المعلومات وأدقَّ ما يُسْتَطِعُ الوصولُ إليه من التفاصيل عن سائر أحوال الألفاظ العربية في جميع أطوار حياتها على طريقة قاموس أكسفورد

الإنجليزيّي، وكتاب والتر فون ورتبرغ (Walther Von Wartburg) الذي أرَخ فيه للفرنسيّة بشكلٍ موسَع جدًا³¹، أم كتاباً متواسِطاً بين الطرفين مثل الكتاب المعروف بروبير التاريجي؟ فكلَ ذلك ممكِنٌ ومطلوبٌ ومرغوبٌ ومحاجٌ إليه. وكلُ هذه الأنواع من القواميس التاريخية (المطولة والمعمقة، والاختصارة، والمتوسطة الحجم والمضمون) موجودٌ و معروفٌ في مكتبة القواميس التاريخية الغربية التي عرفَت ثراءً كبيراً وتنوعاً واسعاً³². ومن الخير للعربيّة أن تُفتح أبوابُ المُنافسة في خدمتها وتحفيز العلماء والباحثين المعجميين على الإكثار من التجارب المتنوعة التي سوف يُعني بعضُها بعضاً، ولا يُستغني بعضُها عن بعضٍ.

7 - ومهمـا كان نوعـاً هذا القاموسـ أيـضاً - من بينـ الأصنافـ المذكورةـ - لا بدـ أنـ نعرفـ النـظامـ الـذـيـ سـيـقـومـ عـلـيـهـ تـرـتـيـبـ مـداـخـلـهـ الفـرعـيـةـ: أـعـلـىـ أـسـاسـ اـشـتقـاقـيـ، أـفـبـائـيـ، تـارـيـخـيـ، أـصـلـيـ وـفـرعـيـ، أمـ عـلـىـ أـسـسـ أـخـرىـ؟ ذـلـكـ أـمـرـ فيـهـ نقـاشـ نـظـريـ وـطـرـقـ عـمـلـيـ يـخـتـارـ بـيـنـهـاـ، لـكـنـ الـحـسـمـ فـيـهـاـ لـيـسـ مـنـ الـعـوـاقـقـ الـتـيـ تـبـثـيـطـ الـعـمـلـ أوـ تـحـوـلـ دونـ إـنـجـازـهـ.

إـذـنـ، هـذـهـ عـيـنـةـ مـنـ أـسـئـلـةـ أـسـاسـيـةـ لـاـ بدـ مـنـ إـلـاجـاهـ الجـمـاعـيـةـ عـنـهـ لـتـحـدـيدـ مـوـاصـفـاتـ الـقـامـوسـ التـارـيـخـيـ الـذـيـ تـرـيـدـهـ، بـهـاـ فـيـ ذـلـكـ أـهـدـافـهـ وـنـوعـهـ وـحـجـمـهـ وـمـادـتـهـ وـمـصـادـرـهـ وـطـرـيقـةـ صـيـاغـتـهـ. وـهـذـهـ مـوـاصـفـاتـ هـيـ الـتـيـ تـرـسـمـ الـخـطـةـ الـمـنـاسـبـةـ. وـلـوـ اـسـتـطـعـنـاـ أـنـ نـحـدـدـ إـجـابـاتـنـاـ عـنـ أـسـئـلـةـ الـمـطـرـوـحةـ بـكـلـ عـنـاـيـةـ وـدـقـةـ، لـكـانـتـ خـطـةـ الـإـنـجـازـ تـامـةـ الـوـضـوحـ، وـخـرـيـطـةـ الـطـرـيقـ بـيـنـةـ الـمـعـالـمـ.

31 - بدأ العمل في مشروع هذا الكتاب الضخم المسماً : (القاموس الإيتيمولوجي للفرنسيّة : Franzöischen etymologischen wörterbuch) (ويرمزُ إليه اختصاراً بكلمة: FEW) منذ سنة 1922م وانتهى سنة 2002م في 25 جزءاً وحوالي 17000 صفحة ورقية، وما تزال الإضافات والملاحقات مستمرةً..

32 - هناك قواميس كثيرة توسعـتـ في دراسـةـ تـارـيـخـ أنـواعـ بـعـينـهاـ مـنـ الـأـلـفـاظـ، كـمـ فعلـ بـيـرـ غـيرـ وـفيـ كتابـ : Dictionnaire des étymologies obscures . يـكـبـ علىـ درـاسـةـ تـارـيـخـ لـفـظـ Révolution : Histoire d'un mot (1989).

وفي الختام، أقدم نموذجاً مختصراً لخطةٍ مقترحةٍ لإنجاز القاموس العربي التاريجي بناء على وجهة نظر خاصةٍ مُستخلصةٍ مما تقدّم عرضه من الأسئلة المطروحة.

- 3 -

نموذج مختصراً من

مواصفات القاموس التاريجي العربي وخطة إنجازه

1- تحديد الهدف :

1-1- الهدف العام:

إنجاز قاموس يؤرخ لمعجم اللغة العربية عبر عصورها المختلفة بدءاً من وقتنا الحاضر (سنة 2012م مثلاً)، إلى أقدم عهودها المعروفة.

1-2- الأهداف الفرعية:

- أن يكون العمل موجّهاً لجميع المهتمّين - مختصّين وغير مختصّين - بمعرفة كلّ شيءٍ عن استعمالات الألفاظ العربية وتاريخها وتطورها شكلاً ومضموناً، دلالةً وصوتاً، حاضراً وماضياً، باعتبارها الوعاء الذي احتفظ بجميع التفاصيل الصغيرة عن تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في جوانبها الثقافية والعلمية والأدبية والاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية والصناعية والتجارية، وبكلّ ما فيها من فنون وعادات وتقالييد وأساليب في العيش والسلوك والمأكل والمشرب والملبس والمسكن والفرح والحزن في السّلم والحرب، ومفاهيم فكرية ومضامين فلسفية، وأدوات وإنجازات في كل المجالات العملية والنظرية التي تمّسُ الإنسان الذي استعمل هذه اللغة وأبدع فيها وعبرَ بها عن أدقّ خلجان نفسه ومساعِره وأحساسِه ونبضاتِ قلبه وكلّ آماله وألامه وسعادته وشقائه. فكلُّ شيءٍ عرفَه الإنسان أو اخترَعَه أو رأَه أو

سَمِعَهُ أَوْ لَامَسَهُ، سَمَّاهُ بِالْفَاظِ مِنَ الْلُّغَةِ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْسَّ بِهِ أَوْ فَكَرَ فِيهِ عَبَرَ عَنْهِ باللُّغَةِ. وَكُلُّ شَيْءٍ أَرَادَ إِبْلَاغَهُ إِلَى الْآخَرَ صَوْرَهُ لَهُ وَأَوْصَلَ فَكْرَتَهُ إِلَيْهِ بِاللُّغَةِ.

- أن يكون الكتابُ في حَجْمهِ وَمُحتواهِ متوسِطًا لاً مُوسَوعِيًّا، مُرَاعِيًّا للمرحلة الاستِعْجالِية التي يتَطلَّبُ فيها الجُمِيعُ صُدورَ هذا القاموس التارِيخِي في أوَّلِ جَزءٍ وَقَتِّ مُمْكِنٍ ملِئِ الفَرَاغِ الكَبِيرِ الَّذِي تَعِيشُهُ الْعَرَبِيَّةُ فِي هَذَا الْمَجَالِ. وَهَذَا يَقتضي تَرْكِيزَ الْمَعْلُومَاتِ وَتَلْخِيقَهَا، وَالْاقْتَصَارَ عَلَى الْمَهْمَمَاتِ الْمُنْهَا وَالْمُنْبُرِيَّ، وَالْإِقْتَصَادُ فِي الشَّوَاهِدِ وَالْأَمْثَالِ، وَالْإِكْثَارُ مِنَ الرَّمُوزِ الْأَخْتِصَارِيَّةِ، وَتَرْكُ التَّحْلِيلَاتِ الْمُوسَوعِيَّةِ وَالتَّفَصِيلِيَّةِ لِإِخْرَاجِهَا فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى مُطْلَوَةٍ. وَيُمْكِنُ لِهَذَا الْعَمَلِ نَفْسِهِ أَنْ يُخْتَصِّرَ بِدُورِهِ وَيُضْغَطَ حِجْمُهُ، وَتُرَكَ مَعْلُومَاتُهُ بِدَرَجَاتٍ مُعْيَّنةٍ لِيُوجَّهَ إِلَى فَتَّةٍ مُتوسِطَةِ الْقِبَافَةِ مِنَ الْقَرَاءِ، وَيُحَذَّفُ مِنْهُ الْكَثِيرُ أَوْ الْقَلِيلُ مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْفَتَّةُ الْعَامَةُ مِنَ الْقَرَاءِ أَوْ الْفَتَّةُ الْمُسْتَعِجِلَةُ الَّتِي تَهْمُمُهَا النَّتْيَاجُ أَكْثَرُ مِنَ التَّفَاصِيلِ وَمَا فِيهَا مِنْ شَوَاهِدِ وَأَدْلَهُ وَحُجُجٍ وَنَقَاشَاتٍ.

- أن يكون قاموساً تارِيخِياً لغوياً عاماً، بمعنى أن يجمع بين مزايا القاموس اللغوِيِّ العام والعناصر التارِيخِيَّةِ والإِيتِيمُولُوْجِيَّةِ، من جهة، وبين الوصف الآني للغة ووصفها عبر مراحلها التارِيخِيَّةِ.

- أن لا يجعل غايته شرح معاني الألفاظ إلا بالقدر الضروري، ولا الخوض في طريقة استعمالها، لأنَّه ليس من قواميس المعاني أو القواميس الوظيفية أو البيداغوجية، ولكنه في المقابل لا بد أن يؤرخ لكل معاني الكلمة التي لا تنفصل عن سياقاتها.

- أن تتحقق في كل الشرطُ وَالعنَاصِرُ المُنصوصُ عَلَيْهَا فِي تعرِيفِنَا السَّابِقِ لِفَهْوِ القاموس التارِيخِيِّ.

2- المدوّنة المعجمية:

- أن يتضمَّنَ القاموس كَلَّ الْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ الْمُشْتَرَكَةِ وَلِغَةِ الْلَّهَجَاتِ الْقَدِيمَةِ وَالْعَامِيَّةِ الْمُفْصَحَّةِ الَّتِي تَدَالُّهَا الْقَوَامِيسُ الْلَّغَوِيَّةُ الْعَامَةُ،

والألفاظ المولدة التي أحدثتها مجتمع اللغة أو استعملها كبارُ كتاب العربية، قديمةً كانت هذه الألفاظ أم حديثة، أصليةً في العربية أم دخلةً ومُعرَبةً، مهجورةً أو مُتداولةً، في أئمَّةٍ بيئَةٍ من البيئات التي انتشرت فيها اللغةُ العربية، بشرط أن تكون واردةً في نصٍّ مكتوبٍ وموثَّقٍ، وأن لا تُجافي القواعد المعروفة في الاستدلال والتوليد والوضع.

- التأريخُ للألفاظ الفصيحة وتتابعُ تطُورِ صيغها ودلائلها لا يمنعان بحال من الاستفادة من المعطيات التي تُتيحُها دراسةُ ما آلتُ إليه استعمالاتها في اللهجات الحديثة بمختلف البلدان العربية، وكذلك ما آلتُ إليه عند انتقالها إلى لغاتٍ أجنبيةً.

- يقتصرُ في هذا القاموس التاريجيِّ العام على الألفاظ العامة والمشهور المتداولِ من الألفاظ التقنية واصطلاحات العلوم والفنون غير المُوغلة في التخصص. ويُترك التأريخُ للباقي من الألفاظ الخاصة والتقنية والاصطلاحية الدقيقة للقاموسات التخصصية في مختلف العلوم والفنون والتكنولوجيات³³.

- يُستبعدُ من هذا القاموس ما كان من أسماء الأعلام البشرية والجغرافية والحيوانية المُرتجلة والمتأصلة في الدلالة على العلمية ولا سيما الأعجمي منها، إلا ما دعتُ الضرورة إليه³⁴، ويُبقي على أسماء الأعلام المنقوله.

33 - يمكن تقسيم الألفاظ التقنية والاصطلاحية إلى ثلاث فئات: الأولى : ذات وجهين، فهي اصطلاحية من وجه وعامة من وجه (مثل: نحو - إعراب - نصب ... الخ)، والثانية : لها معنى اصطلاحياً وتقنياً فقط لكنها أصبحت مشهورة متداولة وصارت بمنزلة الألفاظ العامة (مثل: أوكسجين - كربون - هيدروجين .. الخ)، فهذه تلحق بال الأولى. وهناك الثالثة وهي الألفاظ المُفرقة في الخصوصية، وهي الحالة المطلوب استبعادُها من مدونة القاموس التاريجيِّ العام.

34 - هناك من هذا القبيل أسماء الأنبياء والرُّسُل والملائكة وبعض المدن والواقع المشهورة التي أصبحت جزءاً من تاريخنا وحضارتنا كفلسطين ودمياط ودمشق ولبنان وطرابلس ومراكش .. الخ. فنحن لا نرى بأساسٍ من إدخالها في زمرة الألفاظ التي يشملها ولو بشيءٍ من الاختصار والتركيز.

3- مصادر المدونة :

- تُستخرج المادّة اللغوّيّة التي تتكون منها مداخل القاموس، من النصوص المكتوبة على الورق (مطبوعة أو مخطوطة) أو النقوش أو الحوامل الرّقميّة، من اللغة المشتركة القديمة والحديثة بما فيها اللغة الحيّة المستعملة في وسائل الإعلام المنطقية والمسموعة والمكتوبة، وفي المسّرح والأفلام والروايات والمحاضرات والمؤتمرات والمنتدىات والخطب السياسيّة والدينيّة والاجتماعيّة، والمدرسة والجامعة.

- يمكن في المرحلة الأولى الاقتصار على قائمة محدّدة ومحتارة بعنایة فائقةٍ من المصادر، بشرط أن تكون ممثلاً لختلف عصور العربية وحقوقها و مجالات استعمالها وعلومها وفنونها وأدابها وبيئتها. وفي مقدمتها القواميس اللغوّيّة العامة والخاصّة والدواوين الشعريّة والمجموعات الأدبيّة والتاريخيّة والجغرافيّة وعلوم القرآن والفقه والحديث و مختلف العلوم والفنون.

- في الوقت ذاته تستمر عمليّة الجرد والمسح والتّخزين لكل ما أمكن الوصول إليه من كتب ومجلات وجرائد في كل العصور للوصول في النهاية إلى (ذخيرة اللغة العربيّة) أو موسوعة ضخمة لكل ألفاظ اللغة تكون بمثابة أكبر بنك للألفاظ وأكبر خزان للمعلومات المفصّلة عنها، ومنها تَمَّ تَمَّ كل أنواع القواميس والموسوعات.

- هناك قائمة طويلة من المصادر الأساسية العربيّة (اللفاظ القرآن الكريم - ألفاظ الحديث النبوي - قواميس لغوّيّة قديمة وحديثة - عشرات المصادر الدينية والأدبيّة واللغويّة والتاريخيّة والدواوين الشعريّة - موسوعات مختلفة ...) تمت حواسيبتها أو مسحها ضوئياً. ومن الضروري اعتمادها، لكن، مع إعمال الحذر مما فيها من أخطاء وتحريفات. بل هنالك مدونات عربيّة حديثة مفتوحة على الشّابكة، ينبغي الاستفادة منها بعد مراجعتها والتأكد من صحة معلوماتها

وتصحيح أخطائها. وبعض هذه المدونات قطع أشواطاً مهمة في القدرة على التخزين والاسترجاع مثل : «المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتكنولوجيا» التي دُشنت في شهر مارس 2012م، وتشتمل على 700 مليون كلمة. ومنها : «مدونة المكتبة الإسلامية الإلكترونية الموجودة على موقع (إسلام ويب) ، وتحتوي حالياً على أكثر من 1600 عنوان من مختلف أمهات المصادر فيسائر العلوم الإسلامية العربية وخاصة علوم الحديث، ومنها مدونة : «المكتبة للكتب العربية والإسلامية» ، وتحتوي حالياً على 2404 عنوانين في مختلف العلوم كلها مُوسَّبة وقابلة لاسترجاع ألفاظها. ومنها : موقع : «الباحث العربي»³⁵. وهو قاموس عربي - عربي إلكتروني، يحتوي على المادة اللغوية المضمّنة في القواميس الخمسة التراثية الكبرى (الصحاح - لسان العرب - القاموس المحيط - العباب الزاخر - مقاييس اللغة)³⁶. ومن أهم هذه المدونات أيضاً : «الموسوعة الشعرية» التي أُنجزها المجتمع الثقافي في أبي ظبي، وتحتوي على 2.400.000 بيت شعري (حسب طبعة 2003). وغير ذلك من المدونات والقاميس القديمة والحديثة والمصادر المُحوسبة التي تتوفر على قائمة طويلة بها. والاستعانة بها ستوفّر وقتاً كبيراً وثميناً.

4- الإنجاز والمراجعة:

- إنجاز برامج حَوْسَيبة خَصَّصة لمسح النصوص المطلوب تفريغُ ألفاظها على حوامل رقمية مسحًا ضوئيًّا مع ضرورة التمكُّن من استرجاعها كلمةً كلمةً مع تراكيبيها وسياقاتها المختلفة وتَعدَاد مراتِ تكرارها في كل نص بالاستفادة من طريقة القواميس المُحوسبة الموجودة.

35 - انطلقت هذه المدونة سنة 2007م، ورئيس تحريرها رائد نعيم من ألمانيا.

36 - ومعلوم أن لسان العرب يحتوي في أحشائه على خمسة قواميس أخرى وهي: تهذيب اللغة للأزهري - المحكم لابن سيدة - الصحاح للجوهري - حواشى ابن بري على الصحاح - النهاية في غريب الحديث لابن الأثير. كما أن مقاييس اللغة يستمد مادته المعجمية أساساً من قواميس ونصوص معجمية شهرة مثل: كتاب العين للخليل - الغريب المصنف لأبي عبيد - كتاب المنطق لابن السكikt - الجمهرة لابن دريد.

- يقوم على عمليّي المسح الضوئي للنصوص واسترجاع ألفاظها كلمةً بكلمةً، تقنيّون متخصّصون تحت إشراف أشخاص من اللجنة المكلفة بوضع القاموس. وبعد أن يتم مسح نصٌّ من النصوص يُعهد مباشرةً إلى فريق تقني آخر بمراجعة عملية المسح والاسترجاع للتأكد من صحتها ودقّتها وسلامتها من أي خطأ تقنيّ.

- تُراجع النصوص المنسوخة مراجعةً علميةً لغويةً من قبل متضلعين باللغة العربيّة للتأكد من صحتها اللغويّة ونسبتها الحقيقية إلى مصدرها الأصليّ ومؤلفها وتاريخ إنتاجها.

- يتم تخزين النصوص والمواد اللغويّة المُضمّنة فيها ما تمت حوسّبته في قاعدة رقميّة خاصة أو بنك معجميّ مركزيّ، مرتبةً ترتيباً ألفبائيّاً سهلاً لإمكانية الرجوع إليها في كل حين.

- يمكن، بجانب العمل الآليّ في جرد الألفاظ والاستعمالات، الاستعانة بنظام الجذادات اليدويّة وتکلیف أشخاص موثوقين بتفریغ الفاظ مجموعة من مصادر معينة. مع وضع نموذج موحد للجذادات المطلوب استعمالها.

- يمكن التعاون مع الشركات التي قامت بإنجاز مدونات عربية مُرقمّنة على أساس تزويدها بالخبرة العلميّة المطلوبة والإشراف العلميّ لتتولى هي نفسها إعادة مسح المصادر والكتب المطلوبة وإعادة تخزين مادتها اللغويّة ورقمتها وفق النموذج الموحد الذي تضعه اللجنة المشرفة على إنجاز القاموس التارميّي.

- يمكن الاستعانة بمتطوعين من باحثين متوفّرين على الأهلية المطلوبة للقيام بعملية الجرد والمسح الضوئي واليدوي والتخزين.

- تتشكل فرق علميّة موزّعة على عواصم البلدان العربيّة مكوّنة من علماء وباحثين متخصصين ومؤهّلين ويعهدُ إلى كل فرقة منها - تحت إشراف مسؤول - بتحرير المادة المعجميّة لعدد من الحروف حسب خطة موحدة وجذادات

نحوذجية تُعِدُّها الهيئة العلمية المُشرفة. مع تحديد الأجل النهائي لإنجاز العمل في وقته المحدد.³⁷

- تُرسَّل المادة العلمية المُنجَزة من قبل كُل فريق إلى اللجنة العليا المركزية لراجعتها وإبداء رأيها فيها. وبعد الموافقة عليها يتم تخزينها في برنامج حاسوبي خاص.

- يمكن على الفور، لا على التَّراخي، الشُّروع في تخزين ما توفر من مادة مُعجميَّة اعتماداً على ما هو موجودٌ حَدَّ الآن من مدوّنات معجميَّة مُستخرجة بشكل علميٍّ من عدد كبير من النُّصوص العربية القديمة والحديثة. وليس هذه المادة بالشيء القليل أو الْهَيْنَ. وهي تشمل - في جملة ما تشتمل عليه :

(1) معجم ألفاظ نص القرآن الكريم الذي يُشَكِّل في حد ذاته جزءاً مهماً من العربية الفصيحة التي تُحَسَّب تاريجياً على العصر الجاهلي، رغم أن أغلبية ألفاظ هذا المعجم القرآني ما تزال مُستعملةً في الفصحي المعاصرة.

(2) معجم ألفاظ الحديث النبوي الشريف سواء تلك التي وضع فهارسها وقوائمها المستشرقون، أو تلك المنشورة حديثاً في عدد من المدوّنات الحديثة المُرَقَّمة.³⁸

(3) ألفاظ الفقه الإسلامي وقد نُشرت منها مجموعات كثيرة كما أشرنا من قبل.³⁹

37 - سبق لاتحاد المجامع العربية في اجتماعه السنوي في شهر أبريل (نيسان) 2010م أن وزع القسم الأول من قائمة مصادر المعجم التاريخي (148 عنواناً) الخاصة بالعصر الجاهلي، على خمسة مجامع عربية (سوريا - الأردن - ليبيا - السودان - القاهرة). من أجل إدخالها إلى الحاسوب، وجاء في التقرير السنوي لمجمع اللغة العربية الأردني. لسنة 2010م، أن هذا المجمع أُنجز العمل المطلوب منه بإدخال 30 عنواناً من دواوين الشعر الجاهلي وطبعتها وتدقيقها وإعادة إرسالها إلى اللجنة المختصة بالمعجم التاريخي في اتحاد المجامع.

38 - منها الموسوعة الذهبية لألفاظ الحديث النبوي الشريف وعلومه، وتضم وحدتها 128 مصدراً من أمّهات المصادر في مختلف علوم الحديث).

39 - منها مجموعة شركة حرف المسماة : جامع الفقه الإسلامي وتضم 95 كتاباً .

(3) ألفاظ الشعر العربي عبر عصوره المختلفة، وقد أنجزَ منها الكثيرُ سواءً في شكل أطارات جامعية أم كُتب منشورة أو مدوّنات مُرقمنة، وأهمُها مدوّنة: "الموسوعة الشعرية"، التي أصدرها المجمع الثقافي بالإمارات. وقد فرَغت جمعية المعجمية العربية بتونس من وضع قاموس ألفاظ العصر الجاهلي المستخرج من دواوين شعراء هذا العصر.

(4) مجموعة كبيرة من أهمات القواميس اللغوية القديمة والحديثة التي تمت حوصلتها ونشرها على أوسع نطاق، وتتضمن العربية القديمة والمتوسطة والمعاصرة، مثل: لسان العرب، والقاموس المحيط، ومقاييس اللغة، والمجمل في اللغة، وتأج العروس، والمعجم الوسيط، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، والمنجد في اللغة العربية المعاصرة، ومعجم الغني، وعدد من القواميس المدرسية والوظيفية... وغيرها).

(5) ألفاظ العلوم المختلفة ومُصطلحاتها، وخاصة العلوم العربية الإسلامية: التاريخ والأدب، والثقافة، والفقه، والنقد، والبلاغة، والتفسير، القراءات القرآنية، والأصول، والنحو، والصرف... وغيرها). وقد نُشر منها الكثيرُ في مدوّنات مُرقمنة وكُتب ورقية. وبعضُها عبارة عن رسائل وأطارات جامعية تحفظ بها مكتبات الجامعات ومراكز البحث في كل أرجاء العالم في البلاد العربية والإسلامية والأوروبية وغيرها. وأعدَّ منها معهدُ الدراسات المصطلحية، ومعهدُ البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، وكلاهما بفاس، عدداً آخر يُستفادُ منه.

فهذه المجموعات المعجمية المتوفّرة، يمكن اعتبارها النواة الأساسية لمدونة قاموسنا التاريجي، فينبغي الإسراع بتفريغها وتجميعها في بنك معجميٍّ مركزِيٍّ، بعد مراجعتها وتدقيقها علمياً، ومنها يتمُّ الانطلاق نحو إضافة مدوّنات أخرى.

5- المعلومات المطلوبة في كل مدخل معجمي :

- معلومات صوتية (كيفية نطق الكلمة : إن اقتضى الأمر ذلك : هذا : هذا / الله : الـاـه / اللـهـم : الـلاـهـمـ / عـمـرـو : عـمـرـ..) - معلومات عن المقولات النحوية لكل كلمة (اسم عام - اسم خاص - فعل - صفة - أداة - ظرف .. الخ) - جنس الكلمة (مؤنث، مذكر) - عددها (مفرد - مثنى - جمع - جمع الجموع - جمع التكثير - اسم الجمع - اسم الجنس ...) - معلومات صرفية واشتقاقية (تصغير الكلمات غير القياسية - نسبتها - إعلامها - إبدالها ...) - تأثيل الكلمة (عربية أو معربة - لغتها الأصلية إن عرفت - رحلتها من لغة إلى أخرى ...) - تاريخ ميلاد الكلمة إن عُرف بالتحديد أو التقدير - تطور صيغتها الصوتية والإملائية - ما يطأ على الكلمة من تحويل وتغيير بالقلب أو الإبدال أو الإعلال أو الإدغام أو النحت أو الاستعمال الخطأ - تطور دلالاتها حسب الأزمنة والأمكنة والسياقات و مجالات الاستخدام من حقل إلى آخر، مع وضع تواريخ لذلك ما أمكن - التحول الدلالي الذي يطأ على الكلمة في الاستعمال اللهجي والعجمي - أمثلة على استعمالاتها في سياقاتها المختلفة مأخوذة من كبار الكتاب - ذكر الكلمة مع ملازماتها في الاستعمال.

- يؤرّخ للكلمة أو المعنى أو الصيغة بتاريخ وجودها في أقدم نصٍ مكتوب ظهرت فيه، أو تاريخ وفاة مؤلفه أو الفترة التي عاش فيها إلى أن يثبت العكس - وإن لم يكن هذا النص يعكس بداية استعمال الكلمة أو المعنى على وجه الدقة .

- تقديم تعريفات مرَكَزة ومحضرة للمداخل وفروعها. مع التاريخ لدخول كل معنى .

6- ترتيب المداخل والمعلومات والمعنى وتنسيق مكونات المادة المعجمية

- ترتيب المدخل الكبير (وهي الجذور) ترتيباً اشتراكيًا أو لا وألفبائيًا ثانياً، إذا كانت عربية الأصل، وحسب صورتها الكتابية إن كانت أعمقية. وهذا يقتضي ردَّ كل ألفاظ القاموس إلى أصولها الاشتراكية .

- ترتيب المداخل الفرعية (المُشتقّات المكوّنة للعائلة اللفظيّة الواحدة) فيها بينها ترتيباً ألفبائيّاً وفق طريقة المعجم الوسيط من غير مراعاة السبق التاريخيّ لكلمة من الكلمات. فهذا أسهل وأيسر على القارئ المتعود على القواميس اللغوية العامة.
- استعمال نظام الإحالات لتسهيل العثور على الكلمة أمام القارئ (فكلمة مثل : «مناورة» تذكر في مكانها الصحيح وهو (م ن ا ور ة) لكن يجب أن تذكر مرة أخرى دون شرح في مدخل (ن ور) وهناك يُحال على موقعها الصحيح وهو (م ن ا ور ة). وكلمة «قِنطَار» تُرتب في (ق ن ط ا ر) باعتبارها كلمة أعممّية، ثم تذكر تحت مدخل (ق ط ر) دون شرح، ويُحال هناك على مكانها الصحيح من القاموس. وإذا اعتبرنا أنّ الكلمة (دشيش) متحوّلة عن (جشيش) فينبغي حينها ترتيبها تحت مدخل (ج ش ش) وهناك تُشرح ويُذكَر ما اعتبرها من تحول صوقيّ، ثم تُذكر تحت مدخل (د ش ش) (مجرد ذكر) ويُحال على شرحها في (ج ش ش).
- تُرتب معاني الكلمات ترتيباً منطقيّاً وتاريخيّاً في الوقت ذلك، فيقدّمَ المعنى العام على المعنى الخاص، والحديث والأكثر شيوعاً على المعاني القديمة، والمعنى المحسوسة أو الأصلية على المعاني المجازية والفرعية، ويُتَبعُ ذلك بذكر معانيها الاصطلاحية والتكنولوجية في مختلف العلوم وال المجالات، ويُخْتم بمعانيها المحليّة كاستعمال كلمات: (ظهير ومخزن، ومنصوريّة، ودَوَار..) مثلاً - المستخدمة في المغرب على التوالي بمعنى : المرسوم السلطانيّ، والإدارة أو السلطة العليا، ونوع من الألبسة الفضفاضة، وتجمّع سكّني بدّوي، صغير.
- يمكن وضع شبكة لتفريع المعاني بعضها عن بعض. وعلى أساسها يتم ترتيبها فيما بينها، وهذا مشروط بالتأكد من صحة هذا التفريع وتقديم ما يكفي من الأدلة على صحته.

- 4 -

مقترنات:

- إنشاء مجلة علمية محكمة متخصصة في نسختين ورقية ورقمية، لنشر الجديد من البحوث النظرية والتطبيقية المتعلقة بالتاريخ لألفاظ المعجم العربي بشكل مستمر. وخاصة ما يُنجزه الباحثون من تاريخ بعض كلمات من المعجم العربي، أو ما يضعونه من قواميس جزئية بألفاظ بعض الكُتاب أو الشعراء قدامى ومحَدِّثين، أو قواميس تاريخية لعصر أو فترة أو مرحلة معينة أو علم من العلوم أو حقلٍ من الحقول. ويجب تشجيع العلماء والباحثين على طرقٍ هذا النوع من التأليف.
- نشر الكتب والبحوث العلمية النظرية والتطبيقية والقاموسات اللغوية التي تدخل في نطاق المشروع وتخدم أهدافه وغايته.
- إنشاء موسوعة إلكترونية عربية على طريقة (ويكيبيديا الحرة)، يحرر موادها متظعون من مختلف أنحاء العالم. وسوف تساعد المواد المنشورة في هذه الموسوعة الشاملة على توفير الكثير من المواد والمعلومات المحتاج إليها في إنجاز القاموس العربي التاريخي.
- الإسراع بإنجاز مشروع «ذخيرة اللغة العربية» الذي تبنته الجامعة العربية، وتقديم الدعم المادي والمعنوي والعلمي لإخراجه للوجود.
- استئناف همم الباحثين المهتمين والمتخصصين وتشجيعهم على الإسهام ببحوثهم في إنجاز مشروع القاموس التاريخي.
- دعوة كل الباحثين والجامعيين المشغلين بتحقيق كتب التراث إلى ضرورة الاهتمام بصنع فهارس فنية بالألفاظ اللغوية ذات الخصوصية المضمنة في النصوص المحققة. على أن تقوم الهيئة العلمية المشرفة على مشروع القاموس

التاريخيّ بوضع نموذج للطريقة التي توضع بها فهارسُ ألفاظ النصوص المُحقَّقة، ثم يتم تعميمُه للاستفادة منه والاسترشاد به.

- ضرورة أن تعمل اللجنة على الاتصال بكل الجامعات العربية ومراكز البحث العامة والخاصة التي تم فيها إنجاز رسائل وأطروحات جامعية لها صلة بمجال التاريخ المعجمي، وخاصة المتعلقة بالمصطلحات والألفاظ الفنية وغيرها من مفردات الكتاب والشعراء والأدباء والمؤلفات المختلفة، وأن تعمل على تصوير هذه الأعمال أو الحصول على نسخ منها للاستفادة منها في الموضوع.

- الاستعانة ببعض المنظمات الكبرى مثل منظمة الإيسيسكو ومنظمة الأليكسو، ومنظمة اليونسكو، وبعض الجمعيات الخيرية الكبرى مثل مؤسسة الشيخ زايد، وبعض المراكز الثقافية الكبيرة مثل مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، على إنجاز المشروع في شقه المادي واللوجيسيتي.

- يمكن إنشاء وقفية خاصة تُسهم في تكوينها دولٌ وجمعيات وأفراد لتمويل المشروع.